انحراف ثلاثي الأبعاد

عنــوان الكتــاب: انحـراف ثلاثـي الأبعـاد
التـأليــــــف: أحمـــد فـــاروق
الموضـــــوع: روايـــــــة
مراجعـة وإخـراج فنـي: عمـرو ســالم ســواح
تصــميم الغــلاف: باســم مـــدحت
رقـــم الإيـــداع: 19609 /2019
التـــرقيم الـــدولي: 978-977-6639-65 -2
الناشــــــــر: دار تويتة للنشر والتوزيع
www.facebook.com/Tweetforpublish
tweetpublishing2017@gmail.com
٧ش محمد أبوالعطا- محطة العريش-فيصل- الجيزة
رئيس مجلس الإدارة: م/ أحمد عبد العزيز
المدير العام: أ/ رشا العمري
01017799799
01225762066
تويتة
Tweeta
للنشر و التوزيع
#غرّد_للعالم
جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة

انحراف ثلاثي الأبعاد

(الاكتئاب... الهوس... الذهان)

رواية

أحمد فاروق

إلى صديقَي الحلم والسهر... أميِ... أبيِ.

آلاء فاروق... ندى فاروق.

وحبيبتَيِ الجميلةَ.

شكر وتقدير

شكراً جدّاً لكل واحد تعِبَ معي في إخراج

هذا العمل . . . .

تنويه

كاتب هذه الرواية مصاب بذهان الهوس الاكتئابي أو ما يعرف بـالاضطراب الوجداني ثنائي القطب، لذا... فيا عزيزي القارئ، أنا أكتب لا لشيء سوى التنفيس عما ينتابني، أما النشر... فهذه قضية أخرى، لا أعلم حقًّا لماذا أنشر؟، هل لِجِنْي حفنة من المال أو قليل من الشهرة؟، أو ربما لحصد شيء من النجاح الزائف، يا عزيزي، إن أحداث هذه الرواية غير حقيقية بالمرة، كما أنها لن تأخذك إلى عالم ما وراء البحار، بل على العكس تمامًا، ستهوي بك إلى واقع خاص بها... مريض ومؤلم، لتجد أشباه أشياء غير مترابطة، وقصصًا غير مكتملة، كتلك الومضات التي تأتي وتمضي بعقلي أنا... الكاتب.

حكيم الغرفة

- اللهم صلّ وسلم بجميع الشؤون في الظهور والبطون على من منه انشقّت الأسرار الكامنة في ذاته العلية ظهورًا، وانفلقت الأنوار المنطوية في سماء صفاته السنية بدورًا، وفيه ارتقت الحقائق منه إليه وتنزلت علوم آدم به فيه عليه فأعجز كلًّا من الخلائق فهم ما أودع من السر فيه، وله تضاءلت الفهوم، وكلٌّ عجزه يكفيه، فذلك السر المصون لم يدركه منا سابق في وجوده، ولا يبلغه لاحق على سوابق شهوده، فأَعْظِمْ به من نبي رياض الملك والملكوت بزهر جماله الزاهر مونقة، وحياض معالم الجبروت بفيض أنوار سره الباهر متدفقة، ولا شيء إلا وهو به منوط.

يتسرب الملل، ينساب نحو كل شيء، وبمرور الوقت تتشبع به المشاهد ذات الفجوات ولا يبقى على السطح سوى "إرهاصات حكيم الغرفة"، تلك تجربتي الأدبية الأولى، أما اليوم فأظنني أحتاج إلى أحرف جديدة تصف وتشف أشباه أشياء لا أدرك طبيعتها، ولكنها تثير حفيظة الشعور والنغم، أنا شديد الشغف... أنطلق عبر الطرقات والسفر الطويل متلمسًا حدثا جللا، صورة غير معتادة، أو فنا غير كوني يحدثني عن وجود غير الوجود.

أحتاج إلى ورقة من نسج آخر، أقوم بوضعها كبساط لأرقص على قمة جليدية، ويداي ستلوحان في الهواء لتقيما الشعائر، أسمع من خلف المدى البعيد دقات ونغما يجاريان الأسطورة... الطقوس... قوتي... والندم، وتجليات لصوت ملهوف:

- رد الغيور يد الجاني عن الحرم لها معانٍ كموج البحر في المدد.

أعود لأكتب...

انحراف ثلاثي الأبعاد

القلق الإنساني ينخر ويخر، فقدان لتقدير الذات وانخفاض حاد للطاقة، لو لم أمنح الوقت لنفسي هذه الليلة ستشرق الشمس حمراء غاضبة، لن تكفيني أرض ولا سماء، واحتواء الكون... كل الكون يتضاءل، سأعبر الأكوان الموازية في لمح من البصر ساعيًا للتلاشي، هذه محاولتي الألف ألف، إلا أنني في كل مرة أعود وأنزوي لأنطوي فأكتفي وأنتشي، فأمنح الوقت لنفسي من جديد.

إنني أتعفن مللا لولا الـ.. والحلم به.

إنه مساء الأحد، الثامنة بتوقيت الإسماعيلية، وقد صرح طبيبي النفسي بأنني مصاب بـ"ذهان الهوس الاكتئابي" أو ما يعرف بالاضطراب الوجداني ثنائي القطب، عطب عضوي آخر له أعراض شعورية تنعكس على السلوك أصبح يسكنني، قال:

- عليك حزم الأمتعة كافة استعدادًا لسفر طويل.

يقال بأن من استطال الطريق ضعف مشيه، وأنا لا أحلم بالكثير ولكن من بين كل ما قد يحلم به المرء أنشد الصعب والمستحيل، وبي ما لا يرضى بما يظنه القليل، ناهيك عن مثلثات الأشياء التي تحكم، الفقر، الجهل، المرض... الخوف، الشك، الألم... الحق، الخير، الجمال، وبقايا من حرام وحلال، وما كان إن لم يكن فهو مجرد احتمال، إنني أتعفن مللا لولا شذوذ الطريق وأمتعتي الكثيرة وقدمي الملطخة بالطين.

سرت في ليلتي تلك منكّس الرأس، لم أكن أعلم شيئًا عن ذاك الذي يسكنني إلا أن عقلًا ما كان يخبرني بأنني منكسر... قد هزمت، لقد سمحت

للأشياء السيئة أن تحدث خللا "نفسيًّا" داخلك، ها قد أصبحت من الطائفة التي يشعر الناس بالأسى حيالهم... واحسرتاه.

انطلق عقلي يفكر وبشدة، كل ما فيَّ يرفض أن هناك جينًا قد استثير بفعل الظروف فأحدث فوضى عارمة، صرت ألوم نفسي وبقسوة، على هذه الذات أن تُجلد كي تستفيق، ليتني كنت ممن يرفضون الاعتراف بأن هناك عطبا ما وهم في اتساق فج مع هذا الرفض، إلا أنني دائما وأبدًا لا يصعب علي الاعتراف أو الاعتذار، غير أن الإشكالية تكمن في نوعية هذا العطب وماهيته، لذا عدت أحتمي بأحرفي فصارت لغتي أكثر صعوبة، كاذبة ومخادعة، تنظر إلى اتجاه بينما تشير ناحية آخر، وبمنتهى الأمانة، ليس لهذا أدنى علاقة بالشجاعة أو الصدق أو ما إلى ذلك من صفات مرغوب فيها من البعض، وإنما محض آلية مختلفة وغير اعتيادية لمفهوم إطلاق السراح، شأنها شأن النماذج البشرية كافة تنبع من بوتقة يملؤها الشعور، والآن إن كنت أحمل من الغرابة ما أحمل، فحدثني عن حصر "البشرية" في نموذج واحد أو اثنين ليس لهما من الحق شيء سوى أنهما مثالٌ للأكثرية.

- حسنًا... أنا أستحي.
- أنا أعلم ذلك.

في صبيحة اليوم التالي استيقظت على مشكلة كبرى بين عقلي والأشياء، لذا كان عليّ قتل تنين التخيل وتسميم أطفاله، كما أنني أحتاج إلى جمع ثلاثمائة وخمسة وستين صوتا عقلانيا، وعقد لقاءات ثنائية كلٌّ على حدة، نهضت مسرعًا لتحضير قاعة الاجتماع، أنظف الطاولات، أرتب المقاعد مقعدين... مقعدين، بندقية... بندقية، نعم قد يكون على الأمر أن يسير بطريقة أخرى، لذا سأجاري هذه الطريقة الأخرى.

الشيء الناعم الرقيق

المجد لمن في الأعالي، وكل الشكر لهطول المطر.

"الإرسال" هو اسم الحي الذي تسكن فيه جدتي، الكائن بأحد أطراف الإسماعيلية الجميلة، ويطل على شاطئ القنال، أنا الآن في السابعة من العمر والنسيم رقيق، حاد بعض الشيء لسرعة السيارة على الطريق، وما إن تظهر التلال الرملية على أحد جانبية حتى أصاب بالاهتياج الشديد، أحاول توسيع فتحتي أنفي استقبالًا لرائحة يود البحر، ولا أطيق الانتظار حتى أرى ذلك الأزرق البعيد الباعث على السرور والنشوة.

كانت اللقاءات الأسرية ناعمة، وكان حضن الجدة طيبا ودودا، والإرسال في ذلك الوقت هو بمثابة المدينة الفاضلة بالنسبة لي، فقد كان دقيق التنظيم ومنمقا إلى حد بعيد، حيث بنايات متطابقة ... شوراع رئيسية وفرعية موزعة بشكل مثالي... ومجموعة من محال البقالة، أما عن ساكنيها... فكانوا حفنة من البشر... كسائر البشر، وقد عشقوا قربها من البحر كما عشقته أنا وبعض الأصدقاء الذين حظيت بهم جرّاء التعوّد على تمضية العطلات الأسبوعية والإجازة الصيفية هنا... في شقة جدتي بالطابق الأول، هذا بالإضافة إلى وجود حديقة صغيرة خلف كل عمارة تنبت بها أشجار المانجو... الجوافة... التفاح، وقد اهتمت جدتي بحديقتنا التي كانت تضم شجرة جوافة مثمرة وأخرى للمشمش لم تثمر أبدًا، أما عن حصولي على بقية الفاكهة فكانت بالطبع محاولات للسرقة من الجيران، محفوفة بالمخاطر ولكنها ناجحة دائمًا وممزوجة بالضحك والثمار الشهية الناضجة

صيفًا، وكثيرٍ من الركض والشكوى من أصحابها، وبالطبع بعض العقاب.

تشرق الشمس من وراء التلال الذهبية الفاصلة بين المدينة والبحر، وعلى الجانب الآخر من الشاطئ تقبع تلال أخرى من بقايا خط بارليف، تشرق الشمس من ورائها أيضًا، تبسط أشعتها على صفحة الماء المتلألئ، الشفاف بعض الشيء قرب الشاطئ، وأظنها قد بدأت من هنا، تلك المراقبة الدقيقة للأشياء، فقد كانت ثمَّة أسماك صغيرة تسكن أسفل الصخور المترامية هنا وهناك على الضفة.

ليتني أستطيع أن أذكر ما كان يختلجني آنذاك، إلا أن بقايا من مزاج غير متعكر تحضرني كلما تذكرت تلك المشاهد، خاصة تلك المتعلقة بالصيد فقد كانت عائلة أبي تنحدر من عائلة للصيادين أبًا عن جد، وكانت طقوس البحر والتحضير لرحلات الصيد محض روتين شبه يومي في أيام الصيف وبعضٍ من أيام الشتاء المتعلقة ببزوغ القمر، ما زلت أذكر جيدًا كيفية تنظيف الصنارة والشبك، صيد الطعم في أوقات العصر وتجهيزه، المشي ليلًا على ضوء المصابيح الصغيرة والقمر، مهاراتي في الصيد والصبر الطويل... ولطف النسيم.

أما عن عائلة أمي فتنحدر من أصول صعيدية بحتة، وكان جدي لأمي إمام مسجد ومنشدًا بالحضرة الصوفية فيه، أتذكر جيدًا كم المرات التي اصطحبني فيها إلى الحضرة... الأناشيد... والطقوس الخاصة بها من قيام وجلوس:

- صلاة تليق بك منك إليه، وتتوارد بتوارد الخلق الجديد والفيض المديد عليه، وسلامًا يجاري هذه الصلاة فيضه وفضله كما هو أهله، وعلى

آله شموس سماء العلا وأصحابه والتابعين ومن تلا، اللهم إنه سرك الجامع لكل الأسرار، ونورك الواسع لجميع الأنوار، ودليلك الدال بك عليك، وقائد ركب عوالمك إليك، وحجابك الأعظم القائم لك بين يديك، فلا يصل واصل إلا إلى حضرته المانعة ولا يهتدي حائر إلا بأنواره اللامعة، اللهم ألحقني بنسبه الروحي، وحققني بحسبه السبوحي، وعرفني إياه معرفة أشهد بها محياه، وأصير بها مجلاه، كما يحبه ويرضاه.

وهكذا يأتي الشيء الناعم الرقيق مندفعًا، دائما ما يأتيني مندفعًا، يقتحمني ... يغمر ثناياي الصاخبة بألوان الحياة المعاصرة، يزيح عني شتى مؤشرات التقدم في العمر، ويرسل روحي عبر أنبوب شعوري خاص، داخله مقتطفات آلفها جيدًا، ولكنها باتت بعيدة المنال.

عن صباح الأيام المدرسية، حيث صباح الشتاء الذي أكرهه... أتذكر جيدًا، كم كان مؤلمًا عليّ أن أترك فراشي الدافئ في تمام السابعة صباحًا كي أذهب إلى الحمام لأغسل وجهي وأسناني بالمياه الباردة، كانت القشعريرة تصيب جسدي كله عند النظر إلى المياه المتساقطة من فوهة الصنبور، حتى تأتي لحظة الحسم... ترتعش يدي التي لا تزال تحمل حرارة الاستغراق في نوم هادئ، تقترب من السيل البارد المتدفق، تلامسه... فتسارع بالهرب، أعاود الكرة... وأعاود الكرة... حتى ينتهي بها الأمر... مبللة... باردة.

لم تكن سرقة لحظات إضافية من الدفء بعد تلك المغامرة غير المحببة لدي مع الصنبور بالأمر السهل، فعلي أولًا التأكد من خلو الطريق إلى الفراش الذي غطيته جيدًا كي يحافظ على دفئه، ومن ثم... أسرع... أسرع... أسرع... لأندس تحت البطانية من جديد، يرتعد جسدي... تتخبط

أسناني، لحظات من المتعة المختلسة تمر، أسمع صوت أمي تنادي، فأنهض بلا أمل في الرجوع إليه ثانيةً.

أما عن أن أكف يومًا عن ادعاء المرض لتجنب كل تلك المشاق، فكان هذا أشبه بأن تقتنع أمي بأنني مريض فعلًا، فهي... لم تقتنع، أنا... لم أنتهِ، ويا ليت هذا النوع من المحاولات المستمرة يرجع من جديد، حيث كان الأمل لا ينقطع، فعدم الذهاب إلى المدرسة في يوم يحالفك فيه الحظ يعني كثيرًا من الأشياء الممتعة، لذا... فالأمر يستحق عناء المحاولة.

عن مساء الأيام المدرسية، أعشق الحسنة الوحيدة الخاصة بالشتاء، وهي درجات الحرارة المنخفضة، مما يعني عدم التعرّق، وهذا شيء لطيف، أما عن مساء الأيام المدرسية فيه، فلا يختلف عن صباحها كثيرًا، فبعد مشاكل الواجبات المدرسية وتلك المساومة الدائمة بينها وبين اللعب مع الأصدقاء في الشارع، تأتي لحظات ما قبل النوم، والاستماتة لأجل مشاهدة الفيلم الأجنبي على القناة الثانية، مناقشات... مفاوضات... مباحثات، ومن ثم يستخدم الأب حق الفيتو لينتهي بي المطاف إلى الفراش.

- اسمع الكلام ادخل نام علشان تصحى للمدرسة فايق ويوم الخميس ابقى اتفرج على اللي انت عايزه.

هنا ... تبدأ المغامرة الخاصة الأكثر رعبًا وتشويقًا على الإطلاق، حينما أتوق إلى لحظة الانفراد بالتليفزيون، والتي تكون فور خلودهم للنوم، فأنتظر في هدوء... يجب ألا أصدر أي صوت كي يتأكدوا من استغراقي في النوم... أنتظر... أنتظر... ها قد حان دوري، فأخرج كالسلحفاة التي على أتم استعداد للتحول إلى أرنب في أي وقت.

عن الملاحظات الخاصة وبعض التساؤلات، بداخل المواصلات العامة أو أي ناقلة كان نوعها، وحينما أدقق النظر عبر النافذة في السماء العالي، لا أجد سوى متابعة الشمس... أو القمر لحركة سيري، ولا أفهم لماذا يمشي كلٌّ منهما ورائي... لماذا يتقطع صوتي وأنا أتحدث أمام المروحة الكهربائية؟... وعندما نظرت وراء التليفزيون لماذا لم أجد مقدم البرامج جالسًا خلفه؟... لماذا لم تتحرك الكتاكيت الملونة بعد الاستحمام؟... لماذا لا أرى الله؟، كيف تمشي عربتي الصغيرة دون سائق؟... وما معنى جملة " أرض فضاء "؟

- " أرض فضاء "... هو دا بقا الفضاء؟!... هي الناس لما بتعوز تروح الفضاء بتييجي هنا؟

آنذاك... لم تكن مراحل اكتشاف العالم ممتعة بالنسبة له، فقد حملت الكثير من التساؤلات، الكثير من القواعد التي يجب حفظها واتباعها مما أرهق عقله الصغير، أما اليوم... فلا يسعني سوى التذّكر... ثم التذّكر... ثم البكاء نعيًا لهذا الصغير في الصور العائلية القديمة.

موقف السيارات الكبير

جميعهم على يقين بأن " العين تأكل قبل الفم "، إلا أن قلة... قليلة.. جدًّا من الجانبين..، تأبه لأضرار السمنة المفرطة.

هو ذاته ... القرص الملتهب في بداية الشروق، حيث أكوام السحاب الأبيض وأسهم الأشعة المنطلقة من وراء حدوده المتوهجة تحمل درجات برتقالية أقل... تنساب بنعومة وكأنها تتسلل لترى عالمًا آخر، فتصطدم ببعض السمات المميزة لسطح كوكب ما بنفس المجرّة... تتناثر على حقوله... تنعكس.. تتراقص... وتنشر الدفء.

إنها السادسة والنصف صباحًا بتوقيت موقف السيارات الكبير.. الأوقات الافتتاحية لجلب الرزق.

- مَرْج... مرج... واحد مرج.
- منصورة... منصورة... منصورة.
- جامعة... جامعة...جامعة.

وكما المعتاد.. تسارعت الأيدي لنصب صانعات الظل على خمس مساحات صغيرة قد انتشلها بعض الكادحين من أطراف الشارع دون تراخيص رجال القانون، يخدمون بها القادمين من وإلى الباحة الأمامية للموقف حيث عشر واجهات سفر مقسمة بتساوٍ على اليمين واليسار، يماثلهم عشرة أخرى بالجهة الخلفية، هذا بالإضافة إلى بعض المطاعم... خمسة مقاهٍ... دورة مياه... مسجد... ميكانيكي.

- " يا فتّاح يا عليم... يا رزّاق يا كريم يا رب "

(أبو حميد) الوافد الجديد قبل أيام، أبيض اللون... طويل القامة، أربعيني... قد أعاد فتح فم القطعة الخامسة على مصراعيه، يقاسمهم ما يجود به القدر بتبجح، ينهل من شيء عزيز عليهم ثم يجتهد في الليل لتنظيف أسنانه، وعلى غير العادة... جاء هذا الصباح مبتهجًا، تفوح من فمه رائحة النعناع.

- لسّا بنقول يا هادي والشمس طالعة حامية... إفرد يابني الشمسية.

هرول (عبد العال) لتنفيذ الأمر بسماحة كاذبة تخفي وراءها امتعاض عامل بالأجرة ممتثل لواجبات الوردية الصباحية ورغبات المعلّم.

- إعمل يا عبد العال... سوي يا عبد العال... وبروح أمه قاعد متجعص أوي... تقولش معلّم يا أخي.

هكذا يجيد الهمس إلى نفسه، يهمهم مرارًا وتكرارًا عقب حزم الأوامر المتتالية بلا نهاية حتى بعد انتهاء ساعات عمله الاثنى عشر، ولا يسمع شكواه سوى الخمسين جنيهًا ... أجرته.

- عايز خرطوشة كليوباترا يا رايق.

غريب منمق يحمل حقيبة ... على عجلة من أمره.

همَّ عبد العال:

- إتفضل يا بيه.
- على كام يا معلِّم؟
- خلي عنك خالص.
- تكرم يابا واحد.
- ٨٥.

ضوء الشمس يفضح أمر الخرطوشة... يُكسِب سطحها لمعة تراقبها (حبيبة) وهي تقترب، واحدة من آكلي السحت تحضر بيعة هكذا ليس صدفة جيدة، فاستعاذ أبو حميد بالله... سرًّا، خشية حسد محتمل، وحدثها قائلًا:

- (أبو حميد): يا صباح الجمال.

- (حبيبة): يسعد صباحكم... إبقى هاتلك يا خويا شمسية تانية تغطي بيها البضاعة بدل ما نص الفرش في الشمس كده، وأهو بالمرة ترحم الواد الغلبان ده.

- (أبو حميد): متشكرين ياااا حبيبة.

ولّت تتمايل، عباءتها السوداء تلمع... اللمعة ساطعة فوق الانحناءات، تبهج عيني عبد العال والحاج عودة صاحب الفرش المجاور إلى اليمين، العجوز وهو يشتهي عذراء شابة، يدس لها الغزل من حين لآخر على أمل... إنها بمثابة الجائزة الكبرى له إثر لعب دور الأب الروحي للمتسولين.

صاح (حسن) صبي القهوة:

- الشيشة يا حاج... خمسة وسليمان هيجيبلك القهوة.

غبي... له جفون كسول، ونظرة مدمني المخدرات لا تفارق عينيه مطلقًا، أحيانًا ما تجده منفصلًا عن عالمنا... حيث يشرد عقله ابن السادسة عشر عامًا إلى ما لا يعرفه أحد، وحينها مهما تعالت الأصوات في استدعائه... يتطلب الأمر نكزة حتى ينتبه.

وضع حسن الشيشة على الأرض بطريقة لا توحي بأن فاعلها هو "صنايعي" متمرس منذ ما يقرب الثلاث سنوات... حتى إن واحدة من الجمر

الملتهب فوق الرأس قد تهاوت قرب قدمي (هيما) والذي كان منهمكًا في ترتيب واجهة الفرش، فبادره قائلًا:

- (هيما): يابني فووق لو حاجة إتكسرت سليمان هيعلقك.

- (حسن): والله فايق.

رد بسيط بارد... ونبرة مسكينة هما كل ما يخرجه من جعبته عقب كل أخطائه المتعلقة بتلبية طلبات الزبائن، صفتان مقيتتان... وما يزيد الطين بلّة هو هدوؤه الثقيل الذي أعاد به الجمرة إلى حجر الشيشة، انتهت مهمته آنذاك... إلا أنه أراد إضافة لمسة أخيرة:

- (حسن): الشيشة يا حاج.

صوت غليظ... ذو حشرجة مزعجة، انهار جدار عازل بين العجوز وما حوله، تصدع... تفتت، أحدث وقعًا أليمًا فوق رأسه، حرمه الأحمق من غفوة لذيذة لها مشاهد تمادى في رسمها عقله المسن، نهج وغنج وشبق، والحبيبة... تتراقص، يراقبها بتمعن، عيناه تأكل تفاصيلها النضرة، يقترب... يقترب أكثر، لكن الصغير استوقفه، فاستشاط غضبًا:

- (العجوز): ياخي غور يلعن أبو شكلك.

(هيما) ثلاثيني متزوج، لم يرزق بأطفال بعد، يعمل لدى الحاج عودة منذ أربعة أعوام، قصير القامة، وانعكاس عمله الدائم تحت الأشعة المتكدسة فوق رأسه... يلطخ وجهه.

- (هيما بابتسامة لئيمة): فصيل الواد دا صح؟

- (العجوز ضاحكًا): بتراقبني ياض؟!

- (هيما ضاحكًا): إنت حبيبي يا كبير.

كان لطول عشرتهما أثره في تلاشي الحواجز المعتادة بين رب العمل وأحد موظفيه، إلا أن لفارق السن احترامه... هكذا يكنُّ (هيما) في نفسه، كما أن العجوز يعده ابنًا له، نظرًا للتشابه الذي يلاحظه الحاج بينهما، فما يراه كلما نظر في عيني (هيما)... ليس سوى صورة مصغرة ثانية لشبابه المندثر تحت وطأة أكل العيش.

- (سليمان القهوجي): القهوة يا عمّنا.

- (الحاج عودة): والنبي يا سليمان شوفلك صرفة في الواد ابنك ده.

- (سليمان ضاحكًا): هبقى أرجعه وأجيب غيره يا حاج .

(سليمان) القهوجي، أربعيني آخر، تضفي تقاسيم وجهه الغليظة والشيبة في رأسه ثلاثين وربما أربعين سنة إضافية على عمره الحقيقي، كما أن لبعض الحبوب المنشطة والمخدرة آثارها أسفل عينيه الواسعتين، وكما أقبل عليهم مسرعًا... أدبر مسرعًا، يطلق عبارته المعتادة:

- لم علينا عبيدك يااااا رب.

إنها الثامنة والربع...

تحتوي الوردية الصباحية على فترتين من الحركة المفرطة في أنحاء الموقف كافة، وقد بدأت الأولى قبل ربع ساعة، يزداد وقع الخطوات على الأرض، يعلو النفير... الصياح... والسباب، وحفنة من نداءات أخرى.

- مرج... مرج... مرج.

- حاجه لله والنبي... إلهي توصلوا بالسلامة.

- واحد بورسعيد... واحد بورسعيد... بورسعيد يا بيه؟

- أخبار... أهرام... مصري اليوم... جمهورية.

- جامعة... جامعة... جامعة.

تكتظ الأرجاء بكتل متداخلة من الناس والضجيج، تنعش خطوط سير النقود من جيب لآخر، الأفواه والنقود يسيران معًا... يسرعان، يجاريان نوبة الجنون هنا وهناك، يصير الموقف كبوتقة لتلبية الاحتياجات، يبتاع الناس الطعام والدخان، يدفعون الأجرة... يتصدقون... ويقرؤون الأخبار، وإذا أراد أحدهم معرفة طريق المرحاض... فاعلم أن جنيًا إضافيا سيذهب ليد (عم سعد) الجالس أمامه ليل نهار، ليطالب به الداخل والخارج... نظير لا شيء.

جميع العاملين في هذا التوقيت يجب أن تتوافر فيهم سرعة البديهة واليقظة لاقتناص الزبائن، إلا أن صفات كهذه لا يحتاجها السائقون، فكل منهم له دور محدد لحصد الرزق... ملتزم به... وفقًا لقانون سائد، وهذا هو الأمر الوحيد الساري بنظام خاص وسط تلك المنطقة المأهولة بالعشوائية والتناحر، ولكن كسائر الأنظمة الموضوعة من قِبل البشر... لا يتسنى لها تفادي طبيعتهم المُحبة لما يرضيها هي وحدها دون غيرها، ويظل نظامهم قائمًا... حتى يبغضه أحدهم فيضرب به عرض الحائط، منذرًا بإحدى المشاحنات الكفيلة بقلب الموقف رأسًا على عقب.

- تعالَ يا باشا... شاي... قهوة... شيشة... حاجة ساقعة.

- أؤمر يا دفعة عايز إيه؟

- إتفضلي يا أبلة.

وفي أيام الدراسة كمثل أيامنا هذه... يتدفق كم لا بئس به من الطلبة وجميلات الجامعات عند كل صباح، بالإضافة إلى المسافرين الدائمين من

الموظفين والمجندين وخلافه من المستضعفين في الأرض، تستمر هذه الجلبة حتى العاشرة، موعد انتهاء الفترة الصاخبة الأولى، تهدأ الحركة لساعتين إضافيتين، يتقلص منسوب البيع والشراء فيهما إلى النصف تقريبًا، مما يتيح للعاملين التقاط أنفاسهم... شرب الشاي... وإعادة ترتيب البضاعة لإظهار ما لذ وطاب منها.

- (صلاح السواق): صباح الفل يا هيماااااااااااا.

- (هيما): صباح الورد... حبيبي يا عم صلاااااح.

الواحدة إلا الثلث ظهرًا...

إنها أيام الشتاء الأولى... لم يتشبع الجو بالبرودة اللازمة لتخفيف الصهد الآتي مع نور الشمس المطل فوق رؤوسهم مباشرة، تتجه (حبيبة) صوب فرش الحاج عودة... تسبقها اللمعة ذاتها، تلك الجامعية التي تبلغ الثالثة والعشرين من عمرها، تشرع في كسب رزقها عبر التوجه كل صباح إلى موقف السيارات، تحوطها هالة من عطر الأنوثة الأخاذ وبعضٌ من الأزرق والأحمر فوق الشفتين... العينين... الوجنتين، والإثارة تتفصد... فوق قبضة الملابس العصرية، الصدر... الخصر... وما دون ذلك من اهتزازت قد تؤلم آخرين.

" الشيء لزوم الشيء "

تطل من بعيد كسائر بنات جنسها، لا فارق يذكر، تلاحقها عبارات الغزل... تجري وراءها... تلاطفها... تستميلها، تتمنى ولو نظرة رضا أو هبة مجانية قد تمنحها الأميرة التي لا ترتدي أي خاتم في يديها، تنتظرها طويلًا خارج حمامات السيدات ... مقصدها الأول والأخير، ولكن دون جدوى،

تدخل الأميرة... فتخرج منتقبة ترتدي عباءة سوداء رثة، تفوح منها رائحة العرق الصدئ، تتوارى الجميلة بعيدًا ... حتى انتهاء ساعات التسول، وظيفتها المربحة ... سهلة، فما إن تعلمت بعض العبارات الملحّة في طلب المال ممتزجة بحفنة من الأدعية التي تلائم كل هدف على حدة حتى تحظى بكومة من الفكة المرجوّة، وأحيانًا يتطرق الأمر لأبعد من هذا بكثير، فقد تحصل على بعض الجنيهات المجمّدة دفعة واحدة في حال أن صادفها أحدهم يريد أن يظهر مدى سخائه ورحمته بأمثالها، إنها على دراية تامة بهذا النوع من البشر، ولا تبخل بمكافأتهم:

- ربنا يخليك يا بيه.

- يجعله في ميزان حسناتك يا هانم.

- توصلوا بألف سلامة.

دائمًا ... تخفي ما تحصل عليه بجوف شنطة بلاستيكية لا تظهر ما بداخلها، مبطّنة بقطعتي قماش... كي لا تحدث الفضة اصطكاكها المعتاد، ومن ثم تذهب بين الحين والحين لفرش الحاج عودة لتستبدلها بما يعادلها من الأوراق النقدية.

- (هيما): ما فيش شوية فكه حلوين كده؟

- (حبيبة): لو صبر القاتل على المقتول.

- (هيما ضاحكًا): ما كنش حصل حاجة.

- (حبيبة وهي تخرج كومة فكة من شنطة يدها): طب خد يا لمض ... دول ١٥٠ جنيه.

تجاوزته حبيبة إلى داخل الفرش حيث كان العجوز هائمًا:

- (حبيبة): إزيك؟

- (الحاج عودة): أحسن منك... إلا قوليلي صح إيه الموضوع اللي كنتي عايزاني فيه؟

تجلس حبيبة على كرسي مجاور له وتخفت من صوتها:

- (حبيبة): عبد العال...

- (الحاج منتفضًا): ماله؟ ... ضايقك؟ ... أقوم أجيبلك راسه؟

- (حبيبة) لا لا لا... عبد العال كلم أبويا... الواد عايزني في الحلال.

- (الحاج): حلال إييه ... وهو وصل لأبوكي منين؟!

- (حبيبه): الله بقا... ما أنا اللي اديته نمرة أبويا.

- (الحاج): وكلمه؟

- (حبيبة تبتسم ونظرها إلى الأرض): آه... وهيقابله النهارده.

- (هيما ضاحكًا): إحنا بنتغفّل يا حاج.

- (حبيبة): خليك في الزباين يا ابراهيم.

- (الحاج): طب وأبوكي رأيه إيه؟

- (حبيبه): اسكت على اللي عمله... شخط ونطر من ساعة ما الواد كلمه... واللي زاد وغطى بقا لما عرف إنه دبلوم زراعة.

- (الحاج بكهن العجائز): طب ما عنده حق.

- (حبيبة): حق؟! ... يعني اللي اتعلموا أخدوا إيه؟

- (الحاج): يا بت افهمي... أبوكي أدرى بمصلحتك.

- (حبيبة): انت كمان يا حاج؟!

- (الحاج): آه... أنا كمان... أنا لو عندي بنت متعلمة ومتنورة... مش هجوزها لمعفن بدبلوم.

- (حبيبة): مش هتجوزها لمعفن بدبلوم... بس تشغلها شحّاته؟... أنا قايمة أشوف أكل عيشي.

- (الحاج معاتبًا لها): مش بكلمك أنا؟... اقعدي يا بت.

- (حبيبة): بص... أنا أبويا قالهالي بصريح العبارة: "لو عايزه تتجوزي... إتجوزي، بس مش هتسيبي الشغل وليا في زمتك ٣٠٠ جنيه كل يوم... والله الشملول بتاعك موافق على كدا كان بها... مش موافق... فأنا ماعنديش بنات للجواز".

- (الحاج): وعبد العال؟

- (حبيبة وهي تنظر تجاه عبد العال): لو وافق إنه يشغّل مراته شحاته... فيروح يشوفله شحاته تانيه أهم ماليين الموقف أكتر من الهم على القلب.

لم يحظَ أي منهما بالعيش وفقًا لشروطه الخاصة... ولكن هناك دائمًا فرصة ما لتغيير مجرى الأحداث.

وإلى جانبهما... كان عبد العال يراقب حديثهما الذي لم يسمع منه شيئًا، إلا أنه استشف بعض نقاطه من نظرات هيما التي كادت تحرقه، فلم تكن علاقتهما بالحدث المعلن بين عمال الموقف نظرًا لما يعرفه عنهم من كثرة القيل والقال، حاول كبح فضوله مطولًا، منتظرًا أن تمر عليه حبيبة بعد جلستها هذه، ولكنها لم تفعل ... راحت تشق طريقها بين حارات المحافظات العشر، فأخذ من قلة الفكة لديهم عذرًا كي يذهب لفرش

الحاج عودة:

- (عبد العال): معلّم... هشوف فكه عند هيما.

واتجه مسرعًا:

- (عبد العال): بقولك إيه... ما تفك العشرين دي.

أخذ هيما العشرين جنيها بابتسامة خبيثة ولم يتفوه بكلمة:

- (الحاج عودة): إيه يا عريس... مافيش سلام ولا كلام كده؟

- (عبد العال): إزاي يا حاج دا انت الخير والبركة.

- (الحاج): ماشي... ربنا يتمم بخير.

- (عبد العال): تشكر يا كبير.

صدق ظن عبد العال... وعاد حيث كان يفكر مليًّا في ابتسامة هيما وكلام الحاج عودة، وللحظة... شعر بأن الموقف بأكمله يتمعن خطواته، ها هو " جوز الشحّاته " يحمل بعض الفكة... خاصتها، اتجه ببصره نحو النقاب... مد اليد... والحقيبة المعلقة بذراع يدها، لعن تلك الفكرة، تألم، تأوه، وأخذ يدخن سيجارة.

الواحدة والنصف...

" يتوب علينا ربنا "

ساعات الذروة المعتادة... والسيل المتدفق من الناس والمركبات يعود تدريجيًّا متماشيًا مع موعد خروج الموظفين والطلبة من أماكن احتجازهم اليومي، كما أن القاطنين بضواحي الإسماعيلية والعاملين بها يشكلون الدفعة الأساسية المنشطة لحركة السفر يتبعها منسوب البيع والشراء التي تصل حدتهما في تمام الثانية ظهرًا، وينشغل الجميع... تتلاشى أحاديثهم

المتعلقة ببعضهم، يستفيق الحاج عودة، يتناسى هيما أمر تأخر إنجابه، وتكثر أخطاء حسن.

- عجلة قدام يسطاااااا.

- لو سمحت هو موقف العريش منين يابني.

- واحد سويس... واحد سويس.

يتلألأ وجه الإفادة والاستفادة تحت الأشعة المسدلة، ينعكس فوق صفيح العربات المؤدية إلى وجهات عدة، يمر عبر واجهات متوازيات المستطيلات الزجاجية وما عرض بها من أشياء تافهة، سجائر... عصائر... أطعمة... وقطع من ورق مقوى لها قيم نقدية تستخدم لشراء دقائق الحب غير الطاهر أحيانًا، يبتاع الناس كل شيء... حتى مضادات الأمراض الناجمة عن كل ما هو مسرطن... بموقف السيارات الكبير.

تحت الأشعة... يلمع وجه نشط بلا هوادة، لا يعرف الراحة، وقد لا يعرف الرحمة إذا تطلب الأمر، أو تعلق بالمال، كم جنيت... وكم زبونًا حظيت... أنا ومن حولي، بالمقابل... ينغمس وجه آخر في ظلام الأنفس التي يلقى على مسامعها دائمًا بأن ما من موارد لتشمل الجميع، فإما أن تكتفي أنت... أو يكتفي غيرك، ومع عدم إهمال تأثير متطلبات الحياة من توفير مأكل وملبس وخلافه، تنتهى تساؤلات الوجه العبِس بإجابة واحدة:

" أنا ومن خلفي الطوفان "

وإعمالًا بها ... تجد ما تجد من مبادرات البائعين والعاملين بالمقاهي، تتلقف أي عابر دون سابقة إنذار:

- إتفضل يا بشمهندس... شاي قهوة نسكافيه حاجة ساقعة.

- أؤمري يا آنسة.

- تعالَ يابا.

وبالطبع:

- إركبوا هنا يا أفنديه.

ليرد آخر:

- يا اسطا ماتحمّلش ودور غيرك شغال.

- يا اسطا دول تلاتة مع بعض والعربية التانية فاضلّها اتنين.

- طب يا اسطا اقفل باب عربيتك لحد ما ييجي دورك.

- ما انا اللي عليا الدور يا جدعان إنتوا هتجننونا لييييه؟!

وقد يمتد الأمر لما هو أبعد، ليحتدم ... مثلما احتدم بين هيما وعبد العال الذي باغته قائلًا:

- (عبد العال): ما تهدي اللعب شويه يا بوب... دي تالت مرة النهارده تشد زبون كان داخل الفرش.

- (هيما): ما لك بس يا عريس؟... ما تروق كده... وبعدين كلنا على باب الله.

- (عبد العال): يا عم ونعم بالله... بس اقف على فرشك كدا وأهي كلها أرزاق.

- (هيما): طب انت بتعلي صوتك ليه طيب... هخاف انا.

- (عبد العال غاضبًا): يا عم انا بعلي صوتي... هاااا؟

اندفع الحاج عودة بغضب لا علاقة له بما يدور، فنبرة المرشح للظفر بالعذراء اليافعة ألهبت صدره، أو هكذا يظن، فتأجج، وعقد حاجبيه

صائحًا:

- (الحاج): بقولك إيه ... لم نفسك بقا ولما ييجي اللي مشغلك أنا هعرّفه الصياح والصوت العالي قدام الزباين ده.

- (عبد العال): ماشي يا حاج... تشكر يا كبير.

انخرس العجوز... لم تسمح كلمات عبد العال الأخيرة بأي جدال قد يتبعها، ووجد العجوز نفسه مكبلًا بما يعتقد بأنه مُكِنّه له، لم يتمهل ليرى أكثر... أعمق، لم يلحظ تأففه النامي جراء تلاحق الزبائن عليه وخصوصًا الطلبة العائدين من الجامعة... بأفواجهم الوفيرة ونقودهم الحاضرة، وهكذا هي بواطن الأمور والنفوس، إنهما المحرّك الأساسي لأي ثورة غضب كانت أو ستكون، فالجميع محمّل بما يثقل كاهله، متعب... ومختنق، بلا متنفّس... بلا مساحة تحتويه، تستمع إليه... وتزيح بعض الهم المسننة حوافه، إنهم على شفا قشة لتقصم ظهر البعير، وهم... بعير، نحن... بعير، جميعنا... بعير، وما تلك الأسباب التي ننتظرها لنتوهج ونهلل ونصيح إلا قشة نختلقها ليعاقب بعضنا البعض بذنب ما كُنّ بدواخلنا... شاغلين أعيننا عن الحقيقة، عن اليأس... الإحباط... الخوف... الألم... وجشع آخرين يستبيحوننا، ممن تركوا خارج أسوار ملكهم محض شبر أو شبرين لنموج فيهما، نتخطف فتات الأرض والجيوب.

" مسيرها تنتهي "

كانت حبيبة تشاهد ما يحدث، وما إن انتهى الصدام حتى سألت عبد العال عما يجري، لم يكن ينتبه لوجودها من الأساس، ولما أتاه صوتها ... باغتها صارخًا:

- (عبد العال): وإنتي مالك إنتي؟

صادفت فعلته هذه قدوم طالبتين إلى واجهة الفرش وقد دارت أنظارهما حولهما في توجس، صمتتا لوهلة قبل أن تتطلبا علبتي عصير وسكاكر، كما جذب صوته العالي عيون آخرين، منهم هيما والعجوز وصبحي العامل بالفرش المجاور إلى اليسار، بالإضافة إلى بعض المارة، ولاذ الجميع بالصمت، لبى خلاله عبد العال نداء عمله، وتاهت هي في غيابات جمة:

كانت المرة الأولى التي تشعر فيها بإهانة بالغة منذ زمن، فلم تعد تذكر آخر نوبة اجتياح جامح لهذا الإحساس بالتحديد، إلا أن فعلته هذه أيقظت كل ما هو نائم... وقابع خلف جدران ذاكرتها المملوءة بمثل ما يعصف بها الآن، صُدمت عيناها... تجمدت خلف وشاحها الأسود الذي بدا وكأنه يحدثها، كل ما فيها يحدثها... يسرد لها بالتفاصيل الدقيقة كم المواقف المشابهة، بدءًا بصورة طفولتها المنصرمة على أرصفة الشوارع والإشارات المرورية، تحتال على الناس بكونها بائعة مناديل لا تقبل الإحسان... مرورًا بتعرضها للكثير ممن ظنوا بأنها سهلة المنال... وانتهاءً بارتيابها المتكرر خشية مصادفة آتية قد تجلب لها أحدهم على معرفة سابقة بها.

بكهوف عقلها الكثير... صوت أبيها، واصطحابه لها كتميمة للعهر اليومي الممارس على الخلق، حماقتها الصغيرة، فرحة البريئة بحفنة سكاكر في آخر النهار... تلهو بها أمام بيتها وسط حسد بقية الصغار، يوم أن قرر الرجل إنهاء تعليمها في سن مبكرة... يوم أن حاربت أمها لأجل ألا يفعل... ويوم تقديم طلب للسماح لها بالدراسة من منزلها، ويوم.... ويوم... ويوم...،

إلى هذا اليوم ... الذي تطابق فيه وجه عبد العال... فوق وجه أبيها، بصراخه وصيحاته المتكررة المقززة.

انفرط عقد لحظات طوال، تداعت حباته فوق رأسها، أحدثت ألمًا موجعًا، لم ينتشلها منه إلا صوت عبد العال وهو يطالبها بثلاثة جنيهات فكة... مستحقة للطالبتين، فمدت يدها... أعطته إياها... أخذها منها... دون أن تتلاقى الأعين أو الألسنة، ووجه عبد العال بصره والمال إلى إحداهما فوجد نظرها مشدوهًا ... يتمعن ما في يده باستنكار ووجوم، عرف لحظتها ما يدور في عقلها... رأى الاشمئزاز ينصب على يده المحملة بمال التسول، حاول إخفاء هذا قبل أن تلتقطه حبيبة... ولكنها فعلتها، وولت بعيدًا، فعزم على إثارة اشمئزازهما أكثر... فأكثر:

- (عبد العال): الباقي يا آنسة.

تناولته الأخيرة بتردد... بعدما اتضح لها بأنه خيارها الأوحد، واتجهتا إلى حارة عربات السويس.

" واللي مايعرفش ... يقول عدس ".

الثانية والربع...

على الرغم من قساوة الفصول الشتوية... وانحصار البيع فيها بمعدّلات أقل من شبيهاتها في الصيف، إلا أنها أوقات لها رونق خاص، يدركه كل ما هو مذّكر، حينما تمر الفراشات عند كل صباح ... لتبتعد، وفي خضم الظهيرة... يعدن أدراجهن... حتى العصاري، لمرورهن دلاله المعتاد منذ بدء الخليقة، تأثير رطب ينبعث من فحواهن اللينة... يضفي معنى أثيريًّا لتلك

الماكينة اليومية الطاحنة، بتروسها الحادة وصريرها المزعج، معنى أنثويا... لطيفا... ومبهجا في الأيام الدراسية، حيث جميلات الجامعات، والسراويل القماشية المزركشة... بألوانها الطيفية المتعددة التي تشعرك بأن ما تحتويه له نكهات مختلفة، كالتفاح مثلًا... الكريز... الفانيليا، ناهيك عن مسايرتها لحركة الخطى الرشيقة وما يتبعها من رجرجة طفيفة تعصف بقلوب شتى.

" ياما نفسي أطولك يا بلح ... بس النخل عالي "

في أثناء المعركة الصباحية ... لا يتسنى لكل ما هو ذكر عامل بالموقف التحديق والتعمن بكل بضٍّ وانسيابي ورهراه، ولكن النظرة الخاطفة السريعة حاضرة، على عكس النوبة الثانية التي تتيح بعضًا من هذا التلذذ البصري الدقيق، خاصة عندما تهب المجموعات المؤنثة على حارتي بورسعيد والسويس، ويطول انتظارهن.

أتى صوت (عوض – السايس) مهللًا:

- يا صلاااااااااااااااااااااااااح ... صلاااااااااااااح ... عربيتك كملت يسطا.

السايس ... ثلاثيني آخر، له بشرة لفحتها الشمس حتى شبعت، ورأس أصلع، يأتيه قوت يومه مقابل الاعتناء بسيارات سائقي السويس، ينظفها... ينادي على المسافرين، يطّلع على كشف الدور الخاص بكل سائق حتى يسّهل عملية ترتيب الأدوار، وتنتهي مهمة كل سيارة بامتلائها، في حين يجلس الأخير على القهوة...

- (السايس): شفت ياعم صلاح ... العربية فول كومبليت.

- (صلاح مبتهجًا): أهو دا الشغل ولا بلاش.

لتتعالى أصوات البقية مطالبين بما حظي به صلاح وسط ذهول المسافرين.

- طب إحنا مش هينوبنا من الحب جانب ولا إيه؟

- مافيش حاجه طرية علينا يا بشمهندز عوض؟

ترجل صلاح باتجاه مركبته، وفي طريقه... دس يده في جلبابه، ليخرج خمسة جنيهات دفعة واحدة كمكافأة لعوض، الذي حالفه الحظ في أربع عشرة راكبة.

- (هيما ضاحكًا): يسترها عليك من الريحة الحلوة يا عم صلاااااااااااح.

حتى عبد العال المغلّف بتعاسة حبيبة ... ابتسم لما يجري.

مرت ثوان... انتهت اللحظة المرحة... وعاد كل منهم لما ينهكه حتى دقت الخامسة... موعد الأوقات المسائية.

الرتابة... شأنها كشأن أي عابر كان، إلا أنها ضيف ثقيل، ممل، غير مرحب به، ولكنها لا تأبه لآرائهم، فهي وبكل بساطة... إحدى صفات الشخصية المستقلة لموقف السيارات الكبير.

بدأت الساعات الرتيبة تعرف طريقها إلى أرضية الموقف، خاصة... في مثل هذه الأجواء البادئة للموسم الشتوي، تتخلل الجو نسمة باردة نسبيًّا، لا تتماشى مع ملابسهم الصيفية الخفيفة، فيخرج كل منهم قطعة أخرى يلتف بها بعدما تنتابه القشعريرة، ليجلس في هدوء متابعًا للمارة والأحداث حتى تنتهي ساعات عمله.

الوحش

غير آمن... أن يكتب لك طبيبك النفسي وصفة دواء ولا تأخذ الأمر على محمل لائق من الجدية، ولهذا استقيظت في صبيحة هذا اليوم على رجفة كان عليّ تثبيط همتها باحتيال كيميائي يتعامل مع سلوكها المستشيط غضبًا، فلم أعد أملك منطقا سليمًا أو فلسفة بنّاءة قادرة على إحداث فارق، كما أنني أخشى التطبيع مع الوحش.

- أظنني قادرًا على تلقي همس يخص مدينة ما، تلك الحكايات المختلف على أمرها والأحداث القديمة، أقر بأنني أؤمن بأنها لم تمت بعد... لم تندثر وما زال لها في الوجود وجود، إلا أن ذلك الهمس يأتي بتفاصيل مريبة لم أسمع بها قط، سيدي إني أرى مدينة بها أشباه كيانات لها هيئة بشرية، وفلسفات خالية من النفع يعلوها السلوك والضباب، الصخب كائن حي يتسلق الجدران، الشعور نبتة تطرح ما تسقيه لها، والجو خانق... الهواء ثقيل كثقل الغد، وما بي من ألم لهذا... كطفل فوق أرجوحة، يمس القلب تارة... يمس العقل تارةً أخرى، وما بينهما فضاء، سيدي... أخشى أن تكون محض أخيلة أظنها وقائع، في حين أنها اختلاق ذهني مرضي، أو نتيجة لإدمان المخدرات.

رأسي ويدي بهما رعدة، لا أستطيع التركيز لتعلم تقنية ثلاثية الأبعاد، بالمناسبة... أنا أعيد تصميم الأشياء، أعطي لها روحًا افتراضية لتطوف وتحيا، وأرتب الأشكال لأصنع أشخاصا يركلون الكرة.

- مصمم رسوم متحركة... هايل يا أحمد.

موقف السيارات الكبير

السادسة مساءً... موعد انتهاء الوردية الصباحية لكل من هيما وعبد العال وحسن.

أنا الآن في الخامسة والعشرين من العمر، وقد شاءت الأقدار أن أعمل لدى والدي وخالي الحاج عودة في هذا الشيء المسمى بـ"الفرش" بموقف السيارات الكبير، وها أنا آتٍ من بعيد، جامعي في مقتبل العمر على قدر عالٍ من الوسامة، صاحب نظارة طبية.

أحمد: السلام عليكم.

الحاج عودة وهيما: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

أحمد وهو يضع حقيبة ظهره على الأرض: إزيك يا خالي.

- (الحاج): الحمد لله... إنت عامل إيه وأبوك واخواتك؟

- (أحمد): الحمد لله كله بخير.

- (هيما): عامل إيه؟

- (أحمد): الحمد لله والله.

- (هيما) طب استلم يا كبير.

تنقسم الوردية المسائية إلى فترتين من الملل المطلق خاصة في أيام الشتاء، إلا أن الفترة الأولى والتي تبدأ من السادسة مساءً حتى الثانية عشرة صباحًا قد تكون أقل مللًا، فما زال هناك حركة بيع بين الحين والحين، أما الفترة الثانية فتمتد إلى السادسة صباحًا والتي يقتصر ما فيها

على حراسة الفرش... إعادة ترتيب البضاعة... تنظيفها من الغبار والأتربة... ورش المياه عند بزوغ الفجر.

الثامنة مساءً...

وكالمعتاد ينتظر أحمد أن تنفض تلك الجلبة اليومية التي تأتي مع المتسولات اللاتي يجتمعن خلف فرش الحاج عودة لمناقشة أحداث يومهن بصوت عالٍ ومن ثم الضحك أو البكاء أو الشجار أحيانًا، وما إن ينتهي هذا " العار " كما يصفه، حتى يمدد قدميه على كرسي مقابل ومن ثم يخرج اللاب توب الخاص به.

ليكتب...

السيد الأنيق العميق

إنها السادسة صباحًا من نهار يوم بائس كآخر.

ومن جديد، فتح السيد الأنيق العميق عينيه في تمام الساعة على صوت المنبه الموضوع إلى جانبه، ورغبة تتملكه في نيل قسطٍ آخر من النوم تضعف قواه، فأرسل يده في تثاقل لإسكات الصوت المزعج، ثم بعث بها للتنقيب عن اللذة... عند موضع اللذة، وبعدما تلوى وتأوه، تمطّع ليزيح غطاءه عن جسده العاري تمامًا، ليجلس نصف جلسته المعتادة فوق فراشه الفارِه، ومن ثم أشعل سيجارة الصباح.

السيد الأنيق العميق هو لاعب العرائس المتلاعب بالفرائس، إنه الأمهر والأشهر في بلاد البطاطس، كما أن لمخلوقاته القماشية المحشوة بالقطن والقش شهرة واسعة أيضًا، بصراحة... إنها تفوقه شهرة، فهى خفيفة الظل، حسنة الطباع، ومتعددة المواهب.

- مسيري في يوم ألاقيييييه وتبلل دموعي إيدييييه وإن ضل الطريييييق بينا!!! ترارم ترارم أشواجنا!!! تنادينا!!! ترارم ترارم....

غادر السيد الأنيق غرفته، وفي طريقه إلى دورة المياه تغنى بهذه الكلمات، إنها أنشودة غنائية قديمة من زمن الفن الجميل، يعشقها كثيرًا، يؤدي على نغمها حركات جسدية غريبة، قد تشبه الرقص أحيانًا ... ولكنها أقرب إلى البلاهة.

- وإن ضل الطريييييق بينا!!! ترارم ترارم أشواجنا!!! تنادينا!!! ترارم ترارم ....

تمتد أوقات التغني المروّع إلى جلسة حوض الاستحمام الدافئ، مرورًا بتحضير طعام الإفطار... احتساء القهوة... وسيجارة ثانية، ولا تنتهي إلا أمام التلفاز... بالصالة الكبيرة... عند تمام السابعة، موعد البرنامج الإخباري اليومي: "صباح الخير يا بطاطس ".

في حقيقة الأمر، لا يحب السيد العميق متابعة الأخبار الكارثية وأسواق المال وخلافه من السخف المقدم عند كل صباح، ولكن ما يجذب كل اهتمامه هو شيئان لا ثالث لهما، الأول... فقرة (حدث في مثل هذا اليوم)، أما الثاني... فهي مقدمة النشرة الجوية، إنها حقًّا مثيرة، وعندما يحين وقت ظهورها، يقفل السيد الأنيق الصوت، يرتاح في جلسته، لتنشط ناسجات الخيال في عقله، وكفى.

يدوّن السيد العميق ما حدث في مثل كل يوم، من موت أحدهم، مقتل آخر، ميلاد ثالث، ذكرى اندلاع ثورة، انتهاء حرب، ذبح كلب، وهكذا... من تاريخ أولاد كذا وكذا، ثم يجلس بالقرب من أحد أركان غرفته، يغلق الباب، يسدل الستار، يبكي وينتحب، يلطم على وجهه بكلتا يديه، ويصرخ، ويظل يصرخ، حتى ينتهي من كتابة عرض مسرحي ملائم لما انتقاه من الأحداث التى سبق وكانت في مثل يومه، وبعد... يخرج من غرفته مرتديًا بزّته غالية الثمن، متجهًا نحو القبو، حيث ما رقد هناك.

وكما هي العادة، يستغرق حوالي نصف الساعة لفتح الباب الحديدي، إنه يحبس عرائسه جيدًا، يطوقها، يكذب عليها، أقنعها بأن هذا لحمايتها من ساكني المدن، البشر، وأفعالهم التي لا تطاق.

موقف السيارات الكبير

الثانية صباحًا...

يتلقى أحمد رسالة عبر الفيسبوك من صديقته ريم تحتوي على صورة حبيبته السابقة هاجر وهي ترتدي فستان الفرح، الليلة هي ثالث ليلة لها كزوجة لرجل آخر، وراح في غيابات شتى.

- حدثتك مرارًا بأن لدي مفهومًا آخر عن الوقت والتوقيت، الحظ... الصدفة... المعادلات والتسويف، حفنة الاحتمالات وما كان إن لم يكن فمن ستكونين، عن قلة معدلات السيروتونين والذات ونقص بالأدوات، وفرق التسخير، حدثتك يا عزيزتي عن ما هو رهن بالحدث، مرتبط بالألم والأقاويل، عن مشكلة بالتأويل، وحصر الأهداف بواقع ثلاثي الأبعاد، عن التضحية... الخوف... المباردة والتقدير، يا بعيدة... لم يعد يثلج صدري شيء، وإني لأظنني فقدت الصدر، صرت كحجر صوان ما أن إن يمسه شيء حتى يتطاير الشرر، والنار تأكل نفسها إن لم تجد ما تأكله، والآن... نتوقف عند هذا الحد من الصراحة والوضوح، مرت منذ لحظات سبع سنوات كاملة وما زال جحيمي لا يجاريه جحيم، لا يشبعه مرتفع ولا يغذيه صلب أو فولاذي، فكل الموجودات تتفتت لتصير كالهشيم، ولا يبقى سوى محاوراتي لك، وسؤال بلا رد يحثني على الخلود، لم يعد يثلج صدري شيء يا بعيدة وإني لأظنني سأقطر الكون قطرًا لأستعيد الصدر.

وحيد هو حد الوجع، بعالم في ليلاه يئن، وعند الصباح الصاخب سيعود محملا بذكراه التي انتهت هنا، كقصة حب كلاسيكية.

نادى قائلًا:

- عوض... اعملي قهوة والنبي.

إنها الثانية والنصف صباحًا...

"العين اللي تغفل تستاهل خرقها"

يجلس أحمد جلسته المعتادة، اللاب توب أمامه مباشرة والسيجارة في يده، يحاول ترتيب صورة، صياغة مشهد أو قتل بطل آخر، إلا أن خبر صديقتنا تلك قد أثار ضيقًا في صدره، الضيق يشتد، والمشاهد تتفتت... تنهار، وينهار العالم من أمامه، ينتقل من سطر إلى آخر دون أي رابط يذكر، يدمر المدائن، يقتل آلاف الأبرياء، ينصب السدود والموانع والجدران، إنها تتعرى الآن، يده تكاد تلامس جسدها، يحرق مدينة بأكملها، يحرق القارة... يحرق العالم...

عوض بنبرة ممتعضة: القهوة يا عم أحمد.

عوض... ثلاثيني آخر لم يتزوج بعد، طويل القامة... قوي البنيان، لم تلفحه الشمس نظرًا لعملة الدائم بالوردية المسائية بمقهى (أبو سارة) كما يحب أن يطلق عليه الناس، بالمناسبة... الزواج وإنجاب الأطفال يعد إنجازًا للفرد يجعله يرفع رأسه... بموقف السيارات الكبير.

إنها الخامسة صباحًا...

باتت ساعة متبقية على انتهاء وردية أحمد، إلا أن نشاطًا مفرطًا ناجمًا عن احتراق دواخله جعله يتصل ب "هيما" ليخبره بأنه سوف يكمل وردية الصباح على أن يأتي له هيما في تمام السادسة مساءً.

يليق بالأمر أن يبقيه مستيقظًا لمدة أربع وعشرين ساعة متواصلة، كما

أنه على دراية تامة بما سوف يقابله بالوردية الصباحية من صخب وجدل كفيلين بأن يشغلا عقله المحب لتفسير أفعال الناس عن ما واجهه في ليلته تلك، وشرع في ترتيب واجهة الفرش.

"بحبك"

كان له أسلوبه الخاص في ترتيب الفرش، أسلوب جامعي منمق إلى حد بعيد، يبتكر الطرق لعرض البضاعة، يبدل هذا مكان ذاك، ويجعل واجهة الفرش مليئة بما يشتهيه طلبة الجامعة، ومن ثم... يقلده الآخرون.

الحاج عودة: الله ينور.

أحمد: عليك يا خالي.

ظهر الحاج عودة من اللامكان، فهذه طريقته دائمًا لدخول الفرش، يحاول أن يثبت بأنه صاحب مال: "عينه في وسط راسه".

- (الحاج عودة): إيه... الواد إبراهيم اتأخر عليك برضه؟

- (أحمد): لا أنا هنزل مكان إبراهيم وهو هييجي مكاني... يومين تلاتة كدا علشان أنا زهقت من وردية بالليل.

- (الحاج عودة): طب تمام... أنا في القهوة عند سليمان.

- (أحمد): ماشي يا خالي.

صاح (عبد العال): صباح الفل يا هندسة.

- (أحمد): صباح الجمال يا عبده.

لم ينتبه أحمد لقدوم عبد العال، كما لم ينتبه لكونها السادسة صباحًا، فقد انهمك في قلب الفرش رأسًا على عقب، ومن ثم بدأ في نصب صانعات الظل.

الشيء الجامح

همس صديق لي في أذني:

- أبعادي لم تعد تتناسب معي.أنفاسي حارة، وجسدي كتلة غير متناسقة بلا نسبة ذهبية... غير متجانس كيميائيًّا، ووخز من القلق والجموح والامتعاض والهزيمة... إنها نوبة اكتئاب جديدة...

في نضالي ضد الأمزجة المختلفة كنت قد اكتسبت بعض الخبرة في تحديد موقعي الافتراضي وكم المسافة التي تفصل بيني وبين نوباتي المتباينة، بين الاكتئاب والهوس... الاهتياج والخمول، بوصلتي في هذا هو السلوك وتسارع توارد الأفكار، وانعكاساتها على كل من كوني كاتبًا للقصص والروايات أولًا، مصممًا للرسوم المتحركة ثانيًا، وعاملًا بموقف السيارات الكبير ثالثًا.

الانتقال السريع بين مزاج وآخر... سجيتي، وعقلي كالطاحونة الفولاذية يغذيها الشعور فتفتت الواقع للتنقيب عن الحلم والمستحيل، هذه ديناميكية سريالية، تتأرجح بين غياهب ومرتفعات عقلية، بين تقلبات مزاجية ناجمة عن اضطراب كيميائي، وقطبين من الألوان... كما النور والظلام، وذبذبات تشتد لنغم يعلو...

- ليه بتبطل تاخد الدواء؟

- والله بنسى يا دكتور... كل ما ببقى كويس بنسى اخده... عارف... ما بيبقاش حاجة ملّحة عليا... أول ما مزاجي يبقى رايق الدواء بيروح من على بالي.

أخذ الدواء في مثل هذه حالات لا يشبه حالة النزلة المعوية، أنت تأخذ الدواء لمدة أسبوع أو عشرة أيام أو حتى شهر كامل ومن ثم ينتهي الأمر على هذا النحو.

- هو أنا هاخد الدواء دا لمدة قد إيه؟

- إحنا بنبتدي من ست شهور لسنة... خلينا نبتدي بست شهور.

موقف السيارات الكبير

إنها السادسة والنصف صباحًا

ومن بعيد... تطل حبيبة من جديد، تلك التي استفزت قصتها أحمد عندما علم بأنها مجرد فتاة جامعية تمتهن التسول منذ الصغر، ومن ساعدها في هذا هو والدها... متعاطي المخدرات.

كان لتردد أحمد على الموقف بين الحين والحين قبل أن يصبح عاملا به بشكل دائم أثره في إزالة بعض الحواجز بينه وبين العاملين فيه، كما ساعده هذا على معرفة قصص وحكايات بعض المتسولين والمتسولات، ومن بينهم (عزيزة) التي ظهرت من خلف الفرش ممسكة بكوب شاي ومرتدية عباءتها السوداء.

- (عزيزة): صباح الخير.
- (أحمد): صباح النور.
- (عزيزة): هو إبراهيم ما جاش ليه؟
- (أحمد): هنزل مكانه يومين تلاته كدا وهو هينزل مكاني بالليل.

أربعينية سمراء من ضواحي الإسماعيلية، امتهنت التسول بعد أن أدمن زوجها الهيروين، وهي الآن تصرف على علاجه بمصحة قريبة.

- (حبيبة): صباح الخير.
- (أحمد): صباح النور.
- (عزيزة): تعالي عايزاكي.

اتجهت حبيبة وعزيزة إلى خلف فرش الحاج عودة، سألتها عزيزة عما دار في لقاء والدها وعبد العال، فأخبرتها حبيبة أن والدها قد طرد عبد العال من المنزل.

- (عزيزة): طب وعبد العال عمل إيه؟
- (حبيبة): هيعمل إيه يعني... أخد بعضه ومشي.
- (عزيزة): طب وانتي يا منيلة.
- (حبيبة): أنا كويسة.

راقبهما عبد العال من بعيد، وبعدما تأكد أن ما يدور من حديث بينهما متعلق بليلة أمس، أخذ يرتب واجهة الفرش مرة ثانية قائلًا في نفسه: "دي حتة شحاتة، أبوها مدمن... فُوق يا عبد العال وبعدين كنت هتقول إيه لأهلك في البلد".

- (مصطفى): الشاي يا عبده.

(مصطفى) أسمر اللون وقصير القامة، شاب حديث التخرج، كان يدرس نظم المعلومات، إلا أن إقباله على الزواج سريعًا قبل أن يحقق شيئًا في مسيرته المهنية قد دفع به إلى العمل بموقف السيارات الكبير، كما كان له نشاط سياسي في ثورة الخامس والعشرين من يناير، وهو في الأصل صديق لأحمد.

الشيء السيئ

- أنا هبطل كتابة عن الموقف.

- ليييييه؟

- أنا سبت الموقف من ٣ سنين... مش قادر أشوف المشهد كامل... في تفاصيل كتير وقعت مني وانا مش حابب اخترع تفاصيل... لأني أكيد أكيد اختراعي دا هيكون فيه قصور كبير أوي عن الأصل... قصور مش هيخلي الدنيا منسجمة ومتناسقة زي ما كنت شايفها في الحقيقة.

- أنت غريب أوي يا أحمد.

- يا دكتور مابعرفش أكتب عن حاجة ماعرفهاش... دا غير إني حاليًا مرتاح نفسيًّا ودا عاملي مشكلة مع الكتابة.

- إزاي؟

- الحزن أصدق المشاعر... ماحدش بيختار إنه يبقى حزين... دا غير إن الحزن عينه حلوة... بيشوف تفاصيل دقيقة جدًّا... بياخد باله من مشاعر الناس وإيماءاتهم...

- بمعنى؟

- أنا بحب الكتابة... وبحتاج أكتب، زي ما بحتاج آكل واشرب بالظبط...

- أحمد...

- أنا هبطل آخد الدواء.

- أنت أصلا مبطل الدواء.

- دا حقيقي.

- أحمد... كلمني عن الانتحار.

- ماتقلقش عليا... إحنا اتكلمنا في الموضوع دا بشكل عقلاني قبل كده... منكرش اني حاولت الانتحار قبل كدا ٣ مرات... بس خلاص أنا مابقتش ناوي انتحر... أنا مش هخسر.

عدت في ليلتي تلك مهوسًا بآدميتي، وقد سخر الكون... كل الكون لي، وتضاءل قوتي الوحيد محض تورية تتوارى... ما زال لدي الكثير من التشكيل والتشكّل، حيث أحرفي التي باتت كنجوم ساطعة تتلألأ في سماء رأسي، وعقلي المتأجج يحمل رغبة حادة في تمّلك قسطٍ وفيرٍ من القدرة على الخلق، الأنا اعلى نحو مستوى آخر من الطاقة له وميض أشهب يسكن جوفي.

أنا الآن في التاسعة والعشرين من العمر، أعمل كمصمم للرسوم المتحركة في شركة عالمية، وقد اخترت بمحض إرادتي أن أكون فريسة للأمزجة المتقلبة، حيث أكوام من الهوس والاكتئاب، وبالطبع كثيرًا من القصص والحكايات، ناهيك عن تأثيرات الوسواس القهري، نوبات الهلع، والرهاب الاجتماعي، فحالات الاتزان النفسي التي أكون عليها أحيانًا ما تقتل إبداعي، نعم أنا مبدع، فقد عمد عقلي الباطن على إعادة صياغة هذا الاضطراب الشعوري وتفسير أفعال الناس وتحويلهم إلى صورة متحركة تعني شيئا ما، أو قصة لها معنى آخر، وقد عشقت هذا النوع من التنفيس عما ينتابني.

الشيء المخادع

الجنون دوري، بين الهوس والكآبة سلوك مختل مخزٍ في بعض الأحيان، ومدعاة للفخر أحيانًا أخرى، والسؤال هنا... أين وكيف ومتى سيحدث ذلك مرة ثانية؟، ما الذي قد أحققه في نوبة هوس؟، وكم سأخسر إثر نوبة اكتئاب؟، متى سأستفيق؟، أو ربما متى سأنفصل تماما عن الواقع؟.

- ليه ما تقولش إن حالة التوقف عن الكتابة الحالية دي عرض من أعراض نوبة اكتئاب بسبب قلة الدواء.

- احتمال... بس أنا فعلا مش لاقي حاجة اكتبها.

- مش لاقي حاجه تكتبها عن موقف عربيات اشتغلت فيه ٣ سنين؟

- مش شايف الصورة كويس.

- أنهي صورة؟... أنت عايز تكتب إيه بالظبط؟

- تقريبا كدا يا دكتور عايز اكتب وخلاص... عايز أطبع كتاب تاني وابقى موجود... لا أكثر ولا أقل.

- اسمحلي أقولك إنك كدا مش واثق بنفسك ككاتب... عكس مدة قصيرة كنت فيها في قمة ثقتك بنفسك ككاتب، ودا كدا عرض تاني من أعراض نوبة الاكتئاب.

- أنا حاسس إن أنا أقل من أني أكتب عن الموقف... حاسس إني ماليش حق أكتبه أصلا.

- دا إحساس بالذنب؟

- تمام... أنا عندي نوبة اكتئاب.

- أحمد... الاضطراب المزاجي مرض خطير لو اتساب من غير علاج... مشكلته كلها إن حالات الهوس والاكتئاب فيه بتوصل لدرجات غير قابلة للتحكم، أنت مش مجرد واحد مهووس فعنده شوية نشاط وثقة بالنفس زيادة... لا دا نشاط وثقة وحيوية بشكل مفرط ممكن تحس ساعتها إنك مش محتاج تنام ٣ أو ٤ ليالي ورا بعض ودا مالوش دعوة بالأرق، وعلى العكس في حالة الاكتئاب... خمول وإحساس بالذنب وإهمال في النظافة الشخصية وأفكار سوداوية بشكل مفرط برضه، أحمد... الكلام دا خطر على حياتك، أنا مش حابب نوصل لحالة...

- الذهان... صح؟، عارف... ساعات بتمنى انفصل عن الواقع.

الطبيب النفسي

المريض في وضع حرج، فقواه تتآكل وإحساس الذنب لديه يتضخم بشكل كبير جدًّا، أرى هذا في تحاشيه النظر إلى عيني، وإني لأظنه قد وقع فريسة لغوايات عدة، ولكن... من منا غير قابل للإغواء؟، من منا لم تربكه الضلالات والهلاوس؟، إن ضميره الحي مخادع... يتوارى بعيدًا ومن ثم يعود له ليقاضيه على ما فعل، أسئلته كما الجمر في صدره تؤلمه، أوامره ونواهيه تحرقه، كافة كلماته مفادها أن أحمد في منتهى السوء والقذارة التي لا تطاق، ومحاولاتي العدة في جعله يتقبل ذاته وكونه بشرا قابلا للوقوع في الخطأ والخطيئة دائما ما ينتهي تأثيرها بعد وقت قصير.

إن الاضطراب المزاجي ثنائي القطب إذا تُرك بدون علاج قد يصل به الأمر إلى الخروج عن نطاق السيطرة، ليرسم نهايتين لا ثالث لهما:

فإما الذهان وهو اضطراب عقلي خطير وخلل كامل في الشخصية مما يجعل سلوك المرء مختلًا إلى حد كبير، هذا بالإضافة إلى عدم استبصار الشخص بعلته وتفكك الشخصية الأصلية ليطابق في حالاته القصوى المعنى الحرفي لكلمة لـ (الجنون).

أو الانتحار... وأنا أشك في هذه النهاية بالنسبة لأحمد، فخوفه الدائم والشديد من العقاب أو نار جهنم، المتأصل في شخصيته والنابع من تنشئته غير السوية القائمة على العقاب البدني، يمنعه من القدوم على هذا الفعل على الرغم من كونه حاول الانتحار قبل ذلك، إلا أنني أشك في جدية تلك المحاولات، فهذه الشخصية ذكية جدًّا، ولو أراد الموت لحصل عليه فورًا.

ولكن الاحتمال الأكثر خطورة هنا هي فكرة انتابتني مؤخرًا عن كون أحمد لا يؤمن في قرارة نفسه بأنه مريض نفسي، أتمنى أن لا يأخذ الأمر على شاكلة "قتل القتيل والمشي في جنازته"، فهذه الشخصية عنيدة جدًّا، ومحاولة إقناعه بأن بعض تصرفاته نابعة من تغير هيرموني في جسده غير مسؤول عنه، أو أن أفكارًا ما عن نظرة الناس له هي درب من الخيال، أمرٌ في غاية الصعوبة، ولكنني سأجاريه كما يجاريني هو... أعلم أن أحمد يلعب لعبة ما معي، وهي لعبة "إن كنت مريضًا حقًّا وأنت قادر على شفائي... فافعلها ".

الكاتب

" لو نويت أوصلك... حتى لو بيّنت بعيد "

موقف السيارات الكبير بات في تلاشٍ، يومًا عن يوم تتآكل المشاهد... تتفتت... تصير كالهشيم في الهواء، وإني لأظنني قد خسرت هذه القصة، والآن ماذا؟... أنا لا أخلق الأشياء، بل أصنعها مستخدمًا ما أتيح لي من مواد، هل فشلت في تكوين صورة واقعية؟، هل أهرب من جديد؟، عليّ التوقف عن أخذ الدواء، فإما ماكينة هوس أو طاحونة اكتئاب.

ومن ثم أعود لأكتب....

سادة المستنقع

الليلة قمرية... والبحر عالٍ.

الموج عاتٍ... لا يعرف الرحمة.

والأسود بالسماء صافٍ... بلا سحب تحجب لمعة القمر والنجوم.

صاح شاب فوق الساري:

- قمم الجزيرة الغارقة على مرمى البصر.

فهمس الربان بين رجاله:

- استلوا سيوفكم.

وعلى إحدى قمم الجزيرة أشعلت "بجماليون" أحرف خطابها الأخير، فانطلق الضوء بسرعته المعتادة حاملًا ما يلي:

- إن الذي يأتيك صوته بالليل لأهوج، الأحمق ساكن الأسود بالأعماق... خطّاء، تنافسي ذو غرائز، يدعي بصيرة وهو على أدق علم بمحدودية البصر.

هبط الطائر "ايكاروس" من فوق الساري قائلًا:

- يعلمون بوجودنا.

لم يعِر الربان لعبارته أي اهتمام، فلقد كان يعلم في قرارة نفسه أن "بجماليون" قد أعدت العدة لمجيئهم، وزاده هذا غضبا مكبوتا على غضب.

الربان

إن كنت تجيد فعل شيء فلا تفعله دون مقابل، وأنا أجيد فعل كل شيء خاصة تلك التي تتعلق بحماية "اطلانتس" الجميلة، فقد وهبت نفسي لحماية مثاليتها الأصيلة منذ أمد، فأنا المحارب ابن المحارب، صائد ماهر للأرواح الخبيثة والجوائز القانونية، اتقن قفز الأعالي، التوغل، قهر الأعداء والضواري وركوب البحر، فحادثتي الأولى ما زال لها صدى يتردد ويتسع، يحكى أنه قد عدت برأس الوحش من قلب البرد والثلج... نصف عارٍ، فاستحققت عن جدارة كوني أنا... (ماكسيموس) سيد محاربي أطلانتس.

- لم أخلق لمثل هذه الترهات، وبعض الفلسفات البشرية الخالية من النفع، كان على أطلانتس دفع ضريبة البقاء، نهج انتقائي بحت أميل كل الميل إليه، أما ما تنظر له تلك الجميلة فمحض ديمقراطية بلهاء، درب إلى الهاوية، كما أن إطلاق العنان للعوام من الناس وذوي الأخطاء الفادحة في اتخاذ قرارات مصيرية تخص الحكم بأوجهه العدة لمرساة على شاطئ الجنون.

دقت طبول الحرب، كان على "بجماليون" وحلفائها الديمقراطيين دفع ثمن إغراق أطلانتس بذوي عدم النفع، فاقدي العزيمة الذين يخشون هول الموت.

الطبيب النفسي

السيد الأنيق العميق... سادة المستنقع، مجرد هروب سريالي إلى غياهب النفس والشعور، أحمد يلبس الحقيقة ثوبا ما، أما بالنسبة لموقف السيارات الكبير فالأمر معقد بعض الشيء، والآن لنرى ما لدينا هنا، شاب جامعي له تنشئة اجتماعية محافظة جدًّا يقوده القدر إلى العمل والانغماس بمنطقة مأهولة بكل ما هو خارج عن أي نوع من أنواع القوانين، خاصة هذا الأمر المتعلق بأسعار السلع، فبموقف السيارات الكبير لا تباع السلع بأسعارها المعروفة، بل تزيد إلى ما يقرب من الضعف دون أي داع يذكر غير أنها " أسعار سياحية "، هذا بالإضافة إلى كشفه أمر المتسولين والمتسولات، والذي تأكد بأنه مجرد مهنة يمتهنها البعض عندما رأى جزءا منهم بالمقابر يومي الخميس والجمعة، داعين الناس بنفس ما يدعونهم بموقف السيارات الكبير.

توالت الصدمات النفسية والاجتماعية وأنواع الصدمات كافة، خاصة عندما اكتشف بأنه كان هدفا سهلا للإغواء، حيث ذاك الخدر اللطيف الساري فيه عقب كل بيعة يبيعها ويزيد عن سعرها الحقيقي ما شاء، تعاطي المخدرات، وغوايات (أم سماح) تلك التي كانت... سهلة المنال، وقد كان لانغماسه الذي رصده عقله لاحقًا أثره في تشويه الصورة الذهنية عن نفسه، مما ساعد في مرور الاضطرابات السلوكية لديه، حتى انتهى به الأمر إلى الاكتئاب، وعن اكتمال قصة الموقف من عدمه، فهذا متعلق بثقافة

الاعتراف لدى أحمد، فماكينة الإبداع لديه وضميره الحي لن يقبلا بالكذب في هذا الأمر، خاصة أنه يكتب قصة واقعية لا مكان للخيال الجامح فيها.

إن الجنوح إلى السريالية يشبه رقص التعري ولكن بالعكس، فبدلًا من تعري الحقيقة رويدًا رويدًا، أنت تلبسها ما شئت من أثواب، فتارة تأتينا بشخصية أسطورية تحكي على لسانها ما تود قوله، وتارة أخرى تحارب وحشًا هو في الأصل خوفك الدائم من شيء ما، إنها تنقيب غريب في غيابات النفس، وإن بالنفس قبورا عدة لا يفضل نبش أي منها.

أما ما كتب عن موقف السيارات الكبير إلى الآن فهو اللاشيء على الإطلاق، فقد وصف أحمد تلك البيئة وصفا خارجيًّا ماديًّا فقط، ولم يتطرق بالشكل الكافي إلى تلك المناطق الداخلية المعنوية التي يحظرها أحمد على نفسه، هذا الحظر الناجم عن الشك في ذاته...

الشيء الجيد... الخطير

أنا الآن في حالة اتزان نفسي حذر بعض الشيء، أنام الليل بلا كوابيس وأستيقظ بلا خوف، أفتش في أعماق نفسي فلا أجد سوى كائنات مسترخية مبتسمة وقد شمل السلام الجميع، راضٍ عما مضى، متفائل بما هو آتٍ، وهذا شيء يمقته شخص الكاتب الذي يسكنني.

أعلم أن الاكتئاب مروع، حيث تدهورت العلاقات الاجتماعية، الشك، الألم ليلًا ونهارًا، إحساس الدونية وانعدام القيمة، ولكن ما معنى الحياة بلا اكتئاب؟، أتصور الآن أن جزءا مني قد عشق مثل هذه منغّصات، خاصة عندما ينقلب الأمر رأسًا على عقب منذرًا بحالة هوس شديد، وإني لأظنني قد حظيت بنمط الحياة المتقلبة غير الروتينية في المشاعر والأفكار، وإني لأظنني لا أصلح لغير ذلك.

يعتقد الناس بأنهم يعرفون الاكتئاب، يعتقد الناس بأنهم يعرفون معنى أن تكون مكتئبًا، لمجرد أنهم مروا بمحنة حملت معها مشاعر الحزن، ولكن شتان، فأنت متجهم واجم، كثير الانفعال والمطالب، أنت خائف بشكل هستيري ولا يمكن طمأنتك، أنت لا تشعر بالحياة، وما يزيد الطين بلّة أن الحياة لا تشعر بك.

والآن ما الشيء الجيد في مثل هذا مرض خطير تصبح فيه على شفا حفرة من موت موقنًا بأن ما وراءها هو الجحيم الأبدي، حسنًا... لا أخفي سرًّا بأنه ساعد شخص الكاتب الذي يسكنني، فأنا مدين له بتجربتي

الأدبية الأولى، كما أنني أصبحت مرهف الحس أكثر، واسع الإدراك، حاملًا لكثير من التجارب الشعورية التي لما كانت إلا بدونه، صرت أرى أعمق ما في الأشياء، وعلى الجانب الآخر في حالات الهوس الخفيف أو الشديد، فقد اختلجتني أمور قد دهشت لها، أفكار عن الله والدين والكون، زوايا جديدة في نفسي وعقلي وقلبي أكثر من رائعة، نعم... هناك... بي أنا... ما هو رائع وجذاب، أشباه أشياء تستحق أن أكون ممتنا وأبقى صامدًا لأجلها.

الشيء الرقيق الناعم... من جديد

لم أستيقظ يوما وقد أصبت بذهان الهوس الاكتئابي، ولكنني أستطيع الآن تحديد وبدقة متى بدأت هذه الأشياء بالزحف إلى نفسي وعقلي.

الاكتئاب...

الثانوية العامة في بلادنا مجرد طاحونة، أنت تهلك نفسك طيلة عامين كاملين لتحصل على مجموع درجات هو المحدد الرئيسي لنوعية مستقبلك، أو هكذا كنت أظن، فالحياة ما بعد الثانوية العامة تختلف كثيرًا عما قيل لي، وهكذا حياة ما بعد الجامعة.

كنت قد درست بجد، وبفضل الله أتى هذا الجد بثماره، فقد حققت المركز الثاني على مستوى الجمهورية في الثانوية العامة، إلا أن تلك الفرحة التي كنت أظن بأنني سأصاب بها لم تكن، فقد أحسست بالإرهاق الشديد ومن بعده الخوف، لقد ارتبكت كثيرًا، فلم أكن أعلم ما الذي ينتظرني في كلية الهندسة، وهل حقا الأمر شاق كما يقوله البعض؟، هل بإمكاني الصمود مجددًا طيلة خمس سنوات وهذا على أقل تقدير؟، وتوالت الأسئلة التعجيزية حتى انزويت في غرفتي تلك الليلة... أرتجف من الخوف.

الوسواس القهري...

وهو اضطراب القلق المفرط... حيال كل شيء، أنا الآن في الثامنة عشرة من العمر، وهذا هو أول يوم لي في كلية الهندسة بجامعة قناة السويس...

- هل أنا على قدر من الوسامة؟
- هل ملابسي مناسبة؟
- هل سأصير مهندسًا ناجحًا حقا؟
- هل سأحظى بقصة حب مثالية؟
- هل سيتقبلني الناس وأحظى بالأصدقاء؟

نعم هي ذاتها تلك الأسئلة التي تفسد بهجة كل شيء، إنها هواجس وأحاسيس لا قِبل لأحد بها، أفكار ومخاوف غير منطقية، كاقتناعي الدائم بأنني لم أتوضأ بالشكل السليم فأعيد الوضوء من جديد، أو بأنني لم أقل "بسم الله الرحمن الرحيم" قبل الأكل، وبالمحصلة فمهما كنت متأكدا من شيء ما فلا مناص من التصرفات القهرية حتى أخفف وطأة ما ينتابني من قلق حيال هذا الأمر.

نوبات الهلع...

وهي نوبة مفاجئة من الخوف الشديد بينما لا يوجد خطر حقيقي منطقي لهذا، إنها شيء مخيف للغاية فقد تعتقد بأنك تفقد السيطرة أو أنك تصاب بنوبة قلبية أو حتى بأنك تموت.

أذكر تلك النوبة جيدًا، فقد كانت في أول محاضرة لي بكلية الهندسة، وما إن ظهر الدكتور الذي سوف يحاضر لنا، حتى انتابني الخوف، الخوف الشديد الجارف، تسارع في ضربات القلب، التعرق، الغثيان، ومن حسن حظي بأنني كنت جالسًا آنذاك فلو كنت واقفا لغشي عليّ على الفور.

الرهاب الاجتماعي...

من الطبيعي أن يشعر الإنسان بالانفعال حيال بعض المواقف، كالذهاب إلى موعد غرامي أو مقابلة عمل، فقد تشعر بالتوتر أو القلق، ولكن أن تؤدي تفاعلاتك اليومية كافّة إلى شعورك بالقلق والتوتر والخوف من تركيز الناس على تصرفاتك والحكم عليها، فمرحبًا بك في اضطراب القلق الاجتماعي، وهو حالة نفسية مزمنة ولكن يمكن تعلم بعض المهارات لتفاديها، وكذلك تناول الدواء بشكل منتظم مما يساعد على اكتساب الثقة بالنفس وتحسين القدرة على التفاعل مع الآخرين.

خمس سنوات عجاف... وأميرة

بالنسبة لمعظم الناس... فإن الجامعة كانت سنوات المرح الصاخب والحيوية المفرطة وأيضًا سنوات للحب، على العكس معي تمامًا، فقد كانت فترات طويلة من نوبات الاكتئاب المفزع والأمزجة المتقلبة، والمحاولات المستمرة في تأجيل الدراسة عامًا واحدًا لا أكثر كي أستفيق من كابوس الثانوية العامة، ولكن جملة " كي أستعد نفسيًّا وذهنيًّا " لم تكن بالسبب المقنع لدى عائلتي... ومن هنا نبدأ، فقد خطر على بال أمي فكرة هي الأغرب على الإطلاق.

- أنت محسود... أيوه شكلك محسود.

وما زاد الطين بلّة هو إخباري لهم بحقيقة ما يجري، فقد كنت أرى في هذه الفترة أشباه أشباح لهم هيئة بشرية، يدخلون عليّ غرفتي، يقف أحدهم بزاوية في المنزل، ويمشي آخرون بأزقة الجامعة بينما أمر، هذا بالإضافة إلى الضيق المستمر وكرهي للدراسة وكل ما يتعلق بالجامعة.

لم أكن أتعاطى المخدرات آنذاك، كما لم يكن هناك مجالًا لاستشارة طبيب نفسي كما حدث لاحقًا ولا أعلم السبب، ولا أفهم لما وافقتهم على الذهاب إلى زيارة " شيخ " يعرفه أقرباء لنا بفك السحر والأعمال، لم تلقَ تلك الفكرة هوى في نفسي، ولكن بطريقة ما قد تسللت إلي، وبالمناسبة... أنا أؤمن بالحسد والسحر.

كان هذا الجزء هو الجزء الأسوأ في الرحلة، فأنا الآن أتعامل مع كيانات غريبة وأشخاص أغرب، كذاك الشيخ الذي لم يتجاوز الخمسين من عمره، له يد واحدة، ويقال أنه قد فقد الأخرى في قتال مع الجن، ولهذا خصص غرفة في منزله لمساعدة من هم مثلي، وقد ذهبنا إليه، ويا لها من مقابلة.

- اتفضل يا بشمهندس... إيه ما لك خايف ولا إيه؟

- لا أبدا.

- يعني ما حستش إنك خايف لما شوفتني؟

- لا... بس متوتر شوية.

ما حدث وقتها كان شيئا عجبت له كل العجب، فقد سرد أحداثا شخصية جدًّا... وحقيقية جدًّا في آن واحد، مما ساعد في ترسيخ الفكرة لدي، لتتوالى بعدها الزيارات لشيوخ بضواحي الإسماعيلية وخارجها، وأذكر أن أحدهم كان يقوم بجلسات العلاج بالمسجد الخاص بعائلته، حيث لا مجال للكذب أو المغالطة أو الشعوذة، وبعد بضع سنوات سمعت من صديق لي عن القبض على هذا الرجل بتهمة اغتصاب فتاة كان يعلاجها.

عشت فترات طوال أنتظر فيها خروج الجن من جسدي، أو أن أرى هذا السحر يبطل أمره، ولكن لم يحدث أي من هذا، واستمر الحال على شرب أشياء قد قرئ عليها القرآن، يتبعها القيء الشديد... فأشرب من جديد، حتى سيطرت الفكرة علي تمامًا وأصبحت شغلي الشاغل.

كنت قد قرأت عدة كتب ومقالات عن الجن والشعوذة، ولهشاشتي منقطعة النظير في هذه الفترة فقد زادت الضلالات والهلاوس بشكل كبير، مما زاد من انطوائيتي على نفسي، حتى لاحظ ذلك كل من حولي، بما فيهم هي... " هاجر ".

كنت في السنة الخامسة لي، أجلس على درج الكلية محدقًا في شبح قد وقف قرب الزاوية، حتى انتبهت إلى صوت أنثوي يقول لي:

- ازيك؟

- الحمد لله... انتي ازيك؟

- أنا الحمد لله بخير... امممم أنا هاجر، أحمد. أحمد هو أنت بتشوف حاجات غريبة... أشباح مثلا؟

الطبيب النفسي

لقد توقف المريض عن أخذ الدواء منذ فترة لا أعلم مدتها، كي يستعيد قدرته الإبداعية على حد قوله، ولقد أخبرني أن حالات الاتزان النفسي التي يكون عليها تتعارض مع كونه مصمما للرسوم المتحركة يكتب القصص والروايات، غير أن الحقيقة هي شيء ما داخليٌّ يخبر أحمد بأنه لا يحتاج إلى الدواء وأنه يستطيع تدبر أمره دون جلسات العلاج.

إن جلسات العلاج السلوكي المعرفي هي أحد أنواع العلاج النفسي الذي اتخذته مع أحمد، وهي جلسات منظمة لفترة زمنية محددة تهدف إلى مساعدته ليصبح أكثر وعيا للأفكار السلبية وغير الصحيحة، ومواجهة المواقف الصعبة بطريقة أكثر وضوحًا، معتمدًا في ذلك على تغيير طريقة التفكير والتصرف وهما أعقد ما أواجهه مع هذه الحالة التي لا تعذر نفسها أبدًا.

حالة... لم تتعلم كيف تصبح بشرًا قابلًا للوقوع في الخطأ والخطيئة، وأنه لا بأس من وجود الأفكار السلبية عن أي شيء... وأي شخص، كما أنه لا ضرر في لعب دور الوحش إذا اقتضى الأمر ذلك، والأهم... هو أن تعلم كيف تموت كشخص صالح.

إن الهوس بالمثالية والكمال يعد أحد الاضطرابات النفسية التي أتعامل معها مع أحمد، فهذه الشخصية تكره المعاني السيئة ولا تفكر في شيء سوى إنجاز المهام بدقة عالية، للدرجة التي ترهق فيها نفسها وترهق

الآخرين معها، كما أنه لا يشعر بالرضا أبدًا عن أي إنجاز يحققه، ناهيك عن جلد الذات البشع الذي يقوم به ضد نفسه إثر الوقوع في خطأ ما.

إن الشخصية المثالية أو الكمالية هي شخصية تريد أن تصل إلى الكمال بأي ثمن كان، وتقيد نفسها بمعايير مستحيلة فيها تقوم به من أنشطة أو علاقات، ومشاعر تجاه الآخرين، وبينما يظن أحمد أن الكمال هو الخلاص، ينسى أمرا كونه بشرًا... حيث لا مكان للمثالية والكمال، وهو ما يزيد من تعاسته.

وبمعنى آخر... لا ضرر في كونك غير مثقف، لا بأس بأن تظهر بمظهر الأحمق في موقف ما، لا مشكلة في كونك غير وسيم، والأهم... أنه لا أهمية لرأي الناس فيك.

موقف السيارات الكبير

لموقف السيارات الكبير شخصية قوية مستقلة، تفرض قوانينها على أي وافد جديد، تطبعه بطباعها، وتصبغه بصبغتها، ولهذا تم نبذ أحمد وقبول من هم على شاكلة مصطفى، أصحاب الشخصية الاجتماعية المرنة، التي تطلق النكات وتضحك عليها، أما أحمد فلم يضحك على نكاتهم، وقد ظن أن هذا الأمر أمر عادي... وأن إخوته العاملين بموقف السيارات الكبير سيتقبلونه على شاكلته، إلا أن موقف السيارات الكبير لا يحب من لا يضحك على نكاته.

ومن هنا بدأ السجال، فأحمد ليس إلا شخصا مصابا بالاكتئاب، غير اجتماعي ولا يضحك على النكات، ولكن هيهات، فما معنى أن تكون مصابًا بالاكتئاب في موقف السيارات الكبير، ولقد أُشيع أن "المهندس" أحمد ما هو إلا شخص متكبر، متعجرف، متعاظم.

" إحنا ماشيين بالعلاج"

وما زاد الطين بلّة هي تلك الجلسة التي يجلسها بحاسوبه المحمول اللعين، وتلك العرائس الكرتونية التي يحركها عليه، أمور قد وجد فيها العاملون كافة بموقف السيارات الكبير تغطرسا واضحا، وإطاحة كاملة بالثوابت "الموقفية" غريبة الأطوار قاطبة.

إنها الثامنة صباحًا.

(أم سماح) ثلاثينية بضّة، أنثى تعرف تمام المعرفة بأنها جميلة، لذا يكون لها من الدلال ما لها، تمتهن التسول هي الأخرى لسبب لا يعرفه أحد،

وتتعاطى المخدرات... خاصة تلك الحبوب المخدرة التي تبث النشاط في جسدها الأبيض.

- (أم سماح): صباح الخير يا عسل.

- (أحمد): صباح النور.

- (أم سماح): خد خلي التليفون دا عندك واوعى تتفرج على الصور اللي فيه.

تعجب أحمد من طريقتها في قول جملتها الأخيرة... لذا أخذ يتفحص الهاتف لمشاهدة الصور ومن ثم فهم مقصدها الذي لاقى هوًى في نفسه.

بالنسبة للعاملين بموقف السيارات الكبير، فالأيام متشابهة بعض الشيء، فها هي الفترة الصاخبة الأولى تعود من جديد، حاملة معها تدفقا هائلا من الناس والمركبات، فينهمك أحمد في تلبية طلبات الزبائن والمتسولات اللاتي يأخذن مناديل التسول من فرش الحاج عودة، وتكثر المحادثات، ينشغل عبد العال هو الآخر، وتطوف حبيبة من جديد بعباءة تلمع، وشاب يركب سيارة فارهة، ينتظر أن يمر رجل وزوجته من منتصف الطريق.

حتى التسول هو الآخر له قانون ينظمه، وهو ألا تدخل متسولة على متسولة أخرى، وألا يعطين "الفكة" اللاتي يجمعنها إلى فرش واحد... بل لاثنين أو ثلاثة حتى لا يعرف كم من إيراد يومي يتحصلن عليه.

- مناديل يا باشا.

- ساعدوا أختكم يا أخواتي والله بجري على يتامى.

- إلهي توصلوا بالسلامة.

وقد تساءل أحمد عن مصدر هذا النشاط المفرط اللاتي يكنّ عليه طيلة النهار، فهن في تجوال دائم في أرضية الموقف... بلا هوادة، حتى أتت له أم سماح بالجواب.

- (أم سماح): تدخل معايا في نص؟
- (أحمد): نص إيه؟
- (أم سماح): تامول.
- (أحمد): ماليش فيه.
- (أم سماح): براحتك ياااااا بشمهندس أحمد.

الغندورة قد لوحت بالجنس، وها هي تعرض المخدرات، فعندما فتش أحمد في تليفونها الخاص وجد صورًا لها بقمصان نوم مختلفة، وبهذا تأكد ظنه، وتأهبت ذكورته في انتظار الفرصة على الرغم من كونها... متزوجة لها ثلاثة أطفال، ناهيك عن عزيزة التي كانت تريد من أحمد أن " يكشف" عليها لأنها "تعبانة" على حد قولها.

- مرج... مرج... مرج.
- جامعة... جامعة.
- واحد بورسعيد... واحد بورسعيد.
- اتفضلوا يا بهوات.

إنها الحادية عشرة صباحًا:

ومن ثم تنفض الفترة الصاخبة الأولى ليتبعها بعض الهدوء في حركة السفر والبيع، فتكثر الأحاديث وربما بعض المشاحنات.

هاجر

الجميلة تكبرني بعام واحد... في كلية الطب...

- كلمني عن هاجر.

- كنت غبي... هتوقع إيه من واحدة دكتورة وعارفة عني إني عندي اكتئاب.

- أنت بتلوم نفسك إنك حبيتها؟

- هاجر شافتني في ضعفي.... وأنا للأسف كنت ضعيف.

- ليه للأسف؟... ما كلنا بنمر بلحظات ضعف.

- علشان غلط إنك تبقى ضعيف وسطهم.

- هما مين دول؟

- الناس.

- طيب بعيدًا عن الناس... سيبتوا بعض ليه؟

- أنا ما سبتهاش... هي اللي سابتني... يا دكتور أنا ساعتها اتشخصت بـ" اكتئاب مقاوم للعلاج ".

- كان رد فعلها إيه لما عرفت؟

- كان رد فعل طبيبعي جدًّا من واحدة دكتورة عرفت إن حبيبها مصاب بمرض مالوش علاج، كنت عايزها تعمل إيه يعني، تفضل جنبي وهي عارفة إن كدا خلاص.

المهندس

سيلاحقك ماضيك دومًا.

كيف لي أن أتخطى تلك الفترة... الهندسة... موقف السيارات الكبير... هاجر، والتشخيص الخاطئ بالاكتئاب المقاوم للعلاج والذي اتضح فيما بعد أنه اضطراب مزاجي ثنائي القطب، لمَ لا تعطيني الحياة فرصة ثانية مع عرائسي وقصصي غير المكتملة؟!

أعترف بأنني أحاول خلق هوية جديدة، لها هوايات جديدة، أتقمص دور شخصية ما، أنغمس فيها، أذوب بين أحرفي وكلماتي غير المرتبة، وأتناسى أمر كل شيء.

- الله منه بدأ الأمر، الله إليه الأمر يعود، الله واجب الوجود، وما سواه مفقود، إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد، في كل اقتراب وابتعاد وانتهاض واقتعاد، ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا، واجعلنا ممن اهتدى بك فهدى، حتى لا يقع منا نظر إلا عليك ولا يسير بنا وطر إلا إليك.

مصمم رسوم متحركة

يداي قصيرتان... وعقلي مكبل.

كنت قد رتبت الأشكال في هذه الليلة لأصنع رجلا، وقد فعلت.

وقف الرجل في انتظار أوامري.

هل يمشي يمينًا أم يسارًا؟

هل سيقابل حبًّا يكون له بمثابة التعويض العادل؟

هل سيكون له جهة للوصول؟

هل....؟

هل....؟

أعلم أن عرائسي الكرتونية تعاني نفس معاناتي، فأنا صانعها ومحركها الأول، لذا وجدتني أشفق عليها، فقمت بتفكيكها من جديد، ومن ثم مسح الأشكال.

الكاتب

لا أفهم ما الذي أنتظره من محاولة كتابة "موقف السيارات الكبير" ما دمت لن أقدم حلًّا، لا أفهم ما الفائدة من رصد المداهنة والمداجنة والتملّق لمجرد الرصد، لن أستطيع حشو صفحاتي البيضاء الناصعة بأقبح ما كُن في البشر، أظنني سأعود لكتابة "السيد الأنيق العميق" من جديد، هذا الرجل الذي فقد منطقه فثارت عليه عرائسه.

فقد اعتاد السيد الأنيق العميق أن يعطي عرائسه الأدوار التي يظن هو بأنها تناسبهم، لا التي يظنون هم بأنها تناسبهم، ولهذا دبروا له مكيدة، وقد نجحت بالفعل... وانتهى به الأمر مقيدًا في قبو منزله منسيًّا وحيدًا بفعل العرائس ومن ثم فرّت هاربة.

أما عن "سادة المستنقع" فهم حفنة السياسيين والفلاسفة والعلماء والمثقفين، الذين شغلهم تناحرهم الدائم عن قرب غرق أطلانتس، ولا أفهم أيضًا ما فائدة رصد هذا ومناقشته دون تقديم حل له.

الشيء الغريب

- إيه اللي نزلك تشتغل في الموقف؟

- يااااااه يا دكتور... دي حكاية طويلة.

- احكي.

- أنا أبويا راجل أرزقي... دبلوم صنايع ومش متوظف... وخالي كان فاتح الفرش ده... أبويا كان معاه ٢٠ ألف جنيه حب يشارك بيهم خالي بدل ما الفلوس قاعدة واهي كدا كدا هتتصرف.

- وبعدين؟

- أبويا نزل يشتغل في الموقف... أخد وردية زيه زي أي حد، وانا بصراحة أبويا صعب عليا فنزلت مكانه، ويا ريتني ما نزلت... عايز أقولك إني اكتشفت إن خالي كان بيسرقنا... على الرغم من إنه عارف إن المصاريف كتير ومافيش فلوس أصلا.

- اكتشفت دا ازاي؟

- عملتله جرد للبضاعة... وطلعت عليه عجز في الإيراد بتاع ورديته.

- وبعدين؟

- ولا أي حاجة... راح قال للعيلة كلها إن أحمد بيسرقني... وبعدين قال إنه كان واخد ٣٥٠ جنيه من إيراد الوردية عادي يعني... في حين إن عمره ما ادانا ١٠ جنيه زيادة عن الوردية.

- يا أحمد انت مهندس... إيه اللي يدخلك في كل ده؟

- ابويا كان صعبان عليا... إنت ماتعرفش ظروفنا كانت صعبة قد إيه في حين إن خالي كان فاتح بيتين.

- أيوه... إيه برضه اللي نزلك تشتغل في الموقف؟

- الفترة دي كانت هي هي الفترة اللي قررت فيها أسيب الهندسة، كان لازم شخصية المهندس المصاب بـ"اكتئاب مقاوم للعلاج" تموت، كان لازم أخلق شخصية جديدة بهوية جديدة.

- ومن هنا ظهرت شخصية أحمد مصمم الرسوم المتحركة واللي بيشتغل في الموقف.

- بالظبط كده.

- طب وكتابة القصص والروايات؟

- لا دي معايا من وانا مهندس... ماقدرتش أتخلى عنها.

موقف السيارات الكبير

ذو وجه عابس لا يضحك كثيرًا، يأتي متأنقًا ويذهب متأنقًا تفوح منه رائحة العطور الجميلة، إنه المهندس أحمد.

مرت بضعة أيام على عمل أحمد بالوردية الصباحية، وبطريقة ما تسلل إلى نفسه حب تلك الوردية وما فيها من احتكاكات يومية بالمتسولات والسائقين وبقية العاملين، وقد شهد له الجميع بحسن الخلق، حتى أولئك الذين كرهوه لشيء ما في نفوسهم.

عندما يتعلق الأمر بالنساء، فنحن معشر الرجال لاعبو نرد محترفون، والاحترافية هنا لا تتعلق بمهارات الفوز، بل الأمر... كل الأمر متعلق بالخسارة، ففي نادي الرجال الكبير لا انتحاب بعد هزيمة... لا عويل بعد مخاطرة اتخاذ قرار، ولهذا استغل أحمد فرصة طلب أم سماح خمسمائة جنيه على سبيل السلف... بمقابل جنسي، وقد وافقت.

في صبيحة اليوم التالي للقائهما أتى كل منهما في قمة انتعاشه، فقد أشبع أحمد رغبة ما، وتحصلت هي على خمسمائة جنيه دفعة واحدة.

وفي غمرة الجلبة... إذ برجل أربعيني يصيح في وجه عبد العال:

- (الرجل) : وديت حبيبة فين...؟ حبيبة بنتي فيييييين؟

- (أحمد مندهشًا): يا نهار أسود.

- (عزيزة): حبيبة طفشت؟

هجرت حبيبة كل شيء، عبد العال... الموقف... والدها... وراحت حيث لا رجعة.

الاكتئاب

الجو خانق، وتمحيص لتصنيف الذات يفرض نفسه، أي الفريقين أكون؟ هل ما زلت محبوبا وأحظى بالاحترام؟

أنا أفعل الأشياء السيئة، ويختنق صدري بثرثرة الأصدقاء.

طفل صغير قادر على إزعاجي وزعزعة ثقتي بنفسي.

والحياة لها طعم غير مستساغ.

لا أهتم لشيء.

لا يستثيرني شيء.

ولا أضحك على النكات.

الكاتب

حالة جمود فكري، أنا أخشى اللحظة القادمة، الشيء الداعي إلى الحياء.

لا أتيق أطيق قول الأمر قولة واحدة.

أتمنى أن أكتب عن اللحظة القادمة، إلا أن صديقا لي يتركني لفظاعة الاحتمالات.

كتبت هذه الأحرف تحت تأثير مخدر الحشيش.

أعيد ترتيب الأشياء واقتباسات أميل إليها، وأطرح الأسئلة من جديد:

هل أنا صريح بما يكفي؟

أجدني أهتم لمعنى الصورة.

أرتعش من جديد وأشعل سيجارة وتنتهي هنا.

ما زال لدي الكثير من التشكيل والتشكّل.

(لحن منخفض الصوت)

- رد الغيور يد الجاني عن الحرم... لها معانٍ كموج البحر في المدد....